غير مرخصة للطباعة

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

المجلد السبعون

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

الدار الشامية
للطباعة والنشر والتوزيع

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

المِحْوَرُ الثَّامِنُ
التَّارِيخُ والشَّخْصِيَّاتُ الإِسْلَامِيَّةُ

١٣٧ مقومات الفكر الإصلاحي
عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي

١٣٨ نظرات في فكر
الإمام المودودي

١٣٩ الشيخ الغزالي كما عرفته
رحلة نصف قرن

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفَ القَرَضَاوِي

غير مرخصة للطباعة

المحـور الثامـن

التَّاريخ والشخصيَّات الإسلاميَّة

١٣٧

مقومات الفكر الإصلاحي

عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي

الإمـام يوسف القرضاوي

نسخة تجليبية

من الدستور الإلٰهي للبشرية

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «**مَثلُ ما بعثني الله به من الهُدَى والعلم، كمثل الغَيْث الكثير أصاب أرضًا، فكان منها نقيَّة، قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعُشْب الكثير، وكانت منها أجادبُ، أمسكت الماء، فنفع اللهُ بها النَّاس، فشربوا وسَقَوْا وزرعوا، وأصابت منها طائفةً أخرى، إنَّما هي قيعانٌ، لا تُمسكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كلأً، فذلك مَثَل من فَقه في دِين الله، ونفعه ما بعثني اللهُ به فعَلِم وعَلَّم، ومثل من لم يرفعْ بذلك رأسًا، ولم يَقْبَل هدى الله الَّذي أُرْسِلْتُ به**». متَّفق عليه.

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنَّ الله لا يقبضُ العِلْمَ انتزاعًا ينتزعُه من العباد، ولكن يقبضُ العلم بقبضِ العلماء، حتَّى إذا لم يُبْقِ عالمًا اتَّخذ الناسُ رؤوسًا جهالًا، فسُئِلُوا فأفتَوْا بغير علمٍ، فضلُّوا وأضلُّوا**». متَّفق عليه.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

بسم الله الرحمن الرحيم

استهلال

«اللهمَّ باسمِكَ نبتدئ، وبهَدْيِك نهتدي، وبك يا مُعِينُ نسترشدُ ونستعين، ونسألك أنْ تُكَحِّل بنور الحقِّ بصائرنا، وأنْ تجعل إلى رضاك مصايرنا، نحمدُك على أنْ سدَّدتَ في خدمة دِينك خُطواتنا، وثبَّتَّ على صراط الحقِّ أقدامنا.

ونُصلِّي ونُسَلِّم على نبيِّك الَّذي دعا إليك على بصيرة، وتولَّاك فكنتَ وليَّه ونَصِيرَه، وعلى آله المتَّبعين لسُنَّته، وأصحابه المُبَيِّنين لشريعته.

اللهمَّ يا ناصرَ المستضعفين انصُرْنا، وخُذْ بنواصينا إلى الحقِّ، واجعلْ لنا في كلِّ غاشيةٍ من الفتنة رداءً من السكينة، وفي كلِّ داهمةٍ من البلاء درعًا من الصبر، وفي كلِّ داجية من الشكِّ عَلَمًا من اليقين، وفي كلِّ نازلة من الفزع واقيةً من الثبات، وفي كلِّ ناجمة من الضلال نورًا من الهداية، ومع كلِّ طائفٍ من الهوى رادعًا من العقل، وفي كلِّ عارض من الشُّبْهة لائحًا من البرهان، وفي كلِّ مُلمَّة من العجز باعثًا من النشاط، وفي كلِّ مَجْهلة من الباطل معالم من الحقِّ واليقين، ومع كلِّ فرعون من الطغاة المستبدِّين مُوسَى من الحُماة المقاومين»[1].

(١) افتتاحية الإمام الإبراهيمي لجريدة البصائر، العدد (١)، ١٩٤٧م.

QaradawiBooks.com

(أمَّا بعد)

فهذه صحائف كتبتها للملتقى الفكري الَّذي دعت إليه جمعيَّة علماء المسلمين في الجزائر، لإحياء ذكرى الإمام محمَّد البشير الإبراهيمي، علَّامةِ الجزائر، ولسانِها الناطقِ بالحقِّ، وسيفِها القاطعِ لعُنق الباطل، وقلبِها النابضِ بحرارة الإيمان، ونَجْمِها الثاقبِ الَّذي يهدي الحائرين، ويَنْقَضُّ رجمًا للشياطين.

وذلك بمناسبة مرور أربعين سنة على وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وتقبَّله في الصالحين، والأئمَّة العاملين الصادقين.

وشكر الله لجمعيَّة العلماء ما صنعت، فهذا ما يُوجبه الوفاء والعرفان بالجميل، وبِرُّ الأبناء للآباء، وتقدير الأخلاف للأسلاف، وبناء اللاحق على ما أسَّسه السابق، وبهذا تتواصل الأجيال، ويُكمل بعضها بعضًا، فالأُمَّة في أجيالها المختلفة سلسلةٌ متكاملة الحلقات، يتَّصل بعضُها ببعض، ويستفيد بعضها من بعض، ويدعو المتأخِّر للمتقدِّم، على نحو ما علَّمنا القرآن بعد أنْ حدَّثنا عن المهاجرين والأنصار، ثمَّ قال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

ولقد لقيتُ العلَّامة الإبراهيمي مرَّةً واحدةً في القاهرة، واستمعتُ إليه وأُعجبتُ به، كما أُعجب به كلُّ من شَهِده وسمعه.

وقد كان الشيخ إذا تحدَّث يتدفَّق كأنه البحر الثجَّاج، ويتألَّق كأنه السِّرَاج الوهَّاج، وأشهد أنه شَدَّ الحاضرين جميعًا ببيانُه الناصع، وخطابه

QaradawiBooks.com

الرائع، وسَــعةُ اطِّلاعه على الأدب والتاريخ، واستشهاده بحِكَم البلغاء، وروائع الشعراء، ووقائع المؤرِّخين.

ولقد جاءتني دعوة جمعيَّة العلماء، ورئيســها صديقنا العزيز الشيخ عبد الرحمن شَــيْبان، الَّذي عرفنــاه في ملتقيات الفكر الإســلامي في الثمانينيَّات من القرن العشرين: أخًا كريمًا، وصديقًا حميمًا، قبل أنْ نعرفه وزيرًا للشؤون الدينيَّة، ورئيسًا للملتقيات الإسلاميَّة.. جاءتني الدعوة وأنا في شُغل شاغل، وزَحْمة في المطالب والواجبات، وضِيق في الأوقات، وهذه مُشــكلة أمثالي، ولا يُعين على حلِّها إلَّا الله تعالى، فمنه نســتمدُّ، وعليه نعتمد، وبــه نعتصــم: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

ولم يسعْني إلَّا أنْ أُلَبِّي الدعوة من أجل الجزائر، ومن أجل صاحب الذكرى، ومن أجل صاحب الدعوة، فلــكلٍّ واحدٍ من هؤلاء الثلاثة حقٌّ عليَّ، لا أملــك أنْ أتخلَّى عنه. فلا غرو أنْ كتبــتُ هذه الصحائف على عجلٍ، وفاءً بحقِّ هذا الرائد العظيم، وهذا المُصلح الكريم، وإنْ لم نُوفِّه حقَّه، ولم نَشْــفِ الغَلِيلَ ممَّا كنتُ أريد، ولكنَّ القليــل خيرٌ من العدم، ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

رحم اللهُ الشيخَ الإبراهيمي، ورحم اللهُ ابن بَادِيس، ورحم اللهُ علماءَ الجزائر، وشهداء الجزائر، وبارك الله في شعبِ الجزائر، وحفظه من كلِّ ســوءٍ. وحفظ عليه وَحْدته وأخوَّته، وجعل يومه خيرًا من أمســه، وغده خيرًا من يومه. آمين.

الفقير إلى الله تعالى

يوسف القرضاوي

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مُقَوِّمات الفكر الإصلاحي
عند الإمام محمَّد البَشِير الإبراهيمي

الإمام محمَّد البشير الإبراهيمي: أحد أئمَّة الإصلاح والتجديد في العصر الحديث، ومن عايشه واستمع إليه خطيبًا ومحاضرًا ومدرِّسًا ومحدِّثًا، أو قرأ مقالاته وبحوثه كاتبًا مبدعًا، وباحثًا متعمِّقًا، سواء قرأ ذلك في حياته أم بعد مماته؛ أدرك تمام الإدراك أنَّنا أمام رجلٍ مصلح، يعرف ماذا يريد من إصلاح لوطنه وشعبه وأُمَّته؟ وكيف الطريق إلى تحقيق ما يريد؟ ويملك من الأدوات والمؤهلات «العقليَّة والعلميَّة والنفسيَّة والخلقيَّة والبيانيَّة» ما يُمكِّنه من تحقيق هدفه الَّذي يصبو إليه.

ولا يستطيع دارس أنْ يعرف حقيقة الدور الَّذي قام به الإبراهيمي العالم المربِّي المصلح الثائر المجاهد، إلَّا إذا عرف دور «جمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريِّين» وما قامت به في الجزائر: من إحياء لِما مات، ومن تجديدٍ لما رثَّ، ومن تجميع لما افترق، ومن بناء لما تهدَّم، ومن تطهير لما تلوَّث. وقد كان البشير الإبراهيمي شريكًا مع مؤسِّس الجمعيَّة، وباني النهضة الجزائريَّة الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس، فقد كان نائبه في حياته، وخليفته بعد وفاته.

QaradawiBooks.com

وحديث الإبراهيمي عن ابن باديس: حديث الأخ المعجَب بأخيه، والمرؤوس المزهوِّ برئيسه، والصديق الوفيِّ لصديقه، الَّذي جعله شيخًا له وإمامًا في العلم والعمل، والخُلُق والدعوة، والتربية والجهاد.

ومن تأمَّل في سيرة الإمام الإبراهيمي، وفي تراثه الأدبي والفكري: تبيَّن له بوضوحٍ وجلاء: خطُّه الإصلاحي، ومنهجه التجديدي.

ونستطيع أنْ نُجمل مقوِّمات الفكر الإصلاحي والتجديدي عند البشير الإبراهيمي في هذه النقاط أو المحاور:

١ ـ الإسلام والعروبة: أساسًا ومنطلقًا.

٢ ـ الوحدة والحُرِّيَّة (أو التوحيد والتحرير): محورًا وهدفًا.

٣ ـ التوعية والتربية: منهاجًا وطريقًا.

٤ ـ العمل الجماعي: ضرورة وشرطًا.

٥ ـ الأمَّة العربيَّة والإسلاميَّة: ساحةً وميدانًا.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١

الإسلام والعروبة: أساسًا ومنطلقًا

كان الإسلام هو المرجعيَّة الأولى، بل المرجعيَّة الوحيدة للإبراهيمي وجماعته، وهو أمر طبيعي لا غرابة فيه، ولا دهشة منه، بل الغريب أنْ تكون له مرجعيَّة أخرى غير الإسلام.

فالرجل عالمٌ مسلم، حفظ القرآن منذ صباه، وقرأ الحديث، ودرس التوحيد والفقه والأصول، وسائر علوم الإسلام، ونبغ فيها، وأمسى معلِّمًا لها، وداعيًا إليها، فلا يُتصوَّر منه أنْ يتَّخذ مرجعًا غير الإسلام.

ولكنْ ما مفهوم الإسلام الَّذي يؤمن به الشيخ ويدعو إليه، ويذود عنه شبهات المرتابين وأكاذيب المفترين؟

إنَّه ليس الإسلام الَّذي شابته شوائب الأزمنة والأمكنة، والأعراف المتباينة، فكدَّرت صفاءه، وغبَّشت ضياءه.

إنَّه ليس للإسلام مذهب من المذاهب، ولا طائفة من الطوائف، ولا قُطر من الأقطار، ولا عصرٌ من الأعصار.

إنَّه «الإسلام الأوَّل»: إسلام القرآن الكريم، والسُّنَّة الصحيحة، إسلام الرسول الكريم، وصحابته الميامين، وتلاميذهم الأخيار من التابعين.

QaradawiBooks.com

إنَّه إســـلام القوَّة لا الضعف، وإســـلام التجديد لا الجمود، وإسلام الحُرِّيَّة لا القيود، وإسلام القوَّة والكرامة، لا الذِّلَّة والمهانة! ولقد حرص الإبراهيمي على أنْ يُبيِّن باســتمرار رسوخ الإســلام في الجزائر رسوخ الجبال الشُّـــمِّ، وأنَّه أصل أصول حياتهـــا، وأنَّه منها بمثابـــة الرُّوح من الجسد، إذا انفصل أحدهما عن الآخر فمعناه: الموت.

يقول في مقالة له: «إنَّ الإســـلام في الجزائر ثابتٌ ثبوت الرواسي، متين القواعد والأواسي[١]، قد جلا الإصلاح حقائقه، فكان له منه كفيلٌ مؤتَمن، واستنارت بصائر المُصْلِحين بنوره، فكان له منهم حارسٌ يَقِظ، وعاد كتابه (القرآن) إلى منزلته في الإمامة، فـــكان له منه الحِمَى الَّذي لا يُطْرَق، والسياج الَّذي لا يُخْرَق»[٢].

الإسلام الَّذي يدعو إليه الإبراهيمي:

وطالما شرح الإمام الإبراهيمي هذا الإسلام العظيم بقلمه الفيَّاض، وعباراته المشرقة، فجلَّى أسراره، وجسَّد آثاره، وكشف اللثام عن عقيدته الحَنِيفيَّة، وعن شـــريعته الســـمْحة، وعن قِيَمه الملائمة للفطرة المهذِّبة للغريزة، الَّتي تسمو بالإنسان حتَّى يتميَّز عن الحيوان.

اقرأْ له هذه القطعة، الَّتي يتحدَّث فيها عن الإسلام دين التحرير فيقول: «إنَّ الإسلام هو «دين التحرير العامِّ»، فنرســـل هذا الوصف إرسالًا بدون تحفُّظ ولا استثناء؛ لأنَّه الحقُّ الَّذي قامت شواهده، وتواترت بيِّناته، ومن شواهده وشـــهوده: تلك الأجيال الَّتي صحبت محمدًا وآمنت به، واتَّبعت النُّور الَّذي أنزل معه، ثمَّ الَّذين صحبوهم، ثمَّ الَّذين اتَّبعوهم بإحسان.

(١) الأواسي: جمع آسية، وهي الدعامة والسارية. انظر: تاج العروس مادة (أ. س. ي).
(٢) العدد (١٣)، السنة الأولى من السلسلة الثانية، ١٩٤٧م.

QaradawiBooks.com

ونحمد الله على أنَّ العلاقة بين الألفاظ ومعانيها لم تنقطع عند جميع العقلاء من أجناس البشر، والعقلاء هم حُجَّة الله على من سواهم، وما زال الخير يسمَّى خيرًا، والشر يُسمَّى شرًّا، والفضيلة فضيلة، والرذيلة رذيلة، فالسارق يسرق وهو يعتقد أنَّه متعدٍّ على مال الغير، والمتَّبع لخطوات الشيطان لا يقول: رضي الله عن إبليس! وإنَّما يقول: لعنه الله! وإنَّ هذه لَمِنْ أسرارِ فطرة الله الَّتي فطر خلقه عليها، يواقعون الشرَّ، ولا يُسمُّونه خيرًا، فيُسَجِّلون بذلك الشهادة على أنفسهم، إلَّا المطبوع على قلوبهم، الفاقدين للشعور؛ كالَّذين إذا قيل لهم: لا تُفسدوا في الأرض. قالوا: إنَّما نحن مصلحون. وكصرعى التقليد للحضارة الغربيَّة، الَّذين استرقَّتهم الشهوات، فاستباحوا المحرَّمات باسم الحُرِّيَّة. وكالمسيِّرين للدول الغربيَّة، أسكرتهم القوَّة فبغوا على الضعفاء، وسلبوا أوطانهم، وسمَّوْا بغيَهم استعمارًا.

إنَّ من الظلم والحَيْف والغِشِّ والفساد في الأرض تسمية الأشياء بغير أسمائها؛ لأنَّه قطعٌ للأسباب عن مسبَّباتها، وقد قيل في قوله تعالى: ﴿**وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ**﴾ [البقرة: ٢٧]: إنَّ منه قطع الدوالي عن مدلولاتها، وأنَّ أعظم شرور هذه الحضارة الغربيَّة أنَّها فتحت الباب لهذا النوع من المسخ، وشجَّعت عليه، فأفسدت الفطرة والضمير الَّذي سمَّاه محمَّد ﷺ وازعَ اللهِ في نفْس المؤمن[1]. والتحرير الَّذي جاء به الإسلام شامل لكلِّ ما تقوم به الحياة، وتصلح عليه كلُّ المعاني والأشخاص.

(١) إشارة إلى حديث النواس بن سمعان قال: قال رسول الله ﷺ: «**ضرب الله مثلًا صراطًا مستقيمًا...**». إلى أن يقول: «**والدواعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم**». رواه أحمد (١٧٦٣٤)، وقال مخرِّجوه: صحيح. والترمذي في الأمثال (٢٨٥٩)، وقال: حسن غريب. والنسائي في الكبرى في السهو (١١١٦٩).

QaradawiBooks.com

والدِّين الإسلامي لا يفهم التحرير بالمعنى الضَيِّق، وإنَّما يفهمه على أنَّه كلُّ إطلاقٍ من تقييـــد، أو تعديلٍ لوضع مُنْحَرِف، أو إنصافٍ لضعيف من قويٍّ، أو نقل شيءٍ من غير نصابه، قالت أسماء بنت أبي بكر حينما بعث لها أبوها بجاريةٍ تقوم لها بعلف الفرس: فكأنَّما أعتقني[1].

الإسلام دِينُ التحرير العامِّ:

حرَّر الإســـلام العقل وجميع القوى التابعة له في النفوس البشريَّة، والعقل هو القوَّة المميِّزة للمتضادات والمتنافـــرات الَّتي بُني عليها هذا العالم، كالصلاح والفساد، والخير والشرِّ، والنفع والضُّرِّ، ولذلك جُعل مناطًا للتكاليف الدينيَّة والدُّنيويَّة، وقد يطرأ عليه ما يطرأ على الموازين المادِّيَّة من الاختلال فيتعطَّل أو ينعكس إدراكه.

والإسلام يعلو بتقدير العقل والفكر إلى أعلى درجة، ويقرِّر أنَّ إدراك الحقائق العليا في الدين أو الكون إنَّما هو حظُّ العقول الراجحة والأفكار المســـدَّدة، وأنَّ العقول المريضة والأفكار العقيمة تنـــزل بصاحبها إلى الحيوانيَّة بل إلى أحط من الحيوانيَّـــة، ففي القرآن العظيم: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

ولهذه المنزلة الَّتي وضع الإســـلام العقل فيها: حَمَاه من المؤثِّرات والأمراض والعوائق، وأحطُّ دركةً يرتكـــس فيها العقل هي الوثنيَّة، فهي أكبر مُعَطِّل له عن أداء وظيفته، حين لا يســـمو إلى الجَوَلان في العوالم الرُّوحيَّة، وحين تفتنه بالماديات بظواهرها من طريق الجوارح الحِسِّيَّة.

(١) جزء من حديث متَّفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٢٢٤)، ومسلم في السلام (٢١٨٢)، عن أسماء بنت أبي بكر.

QaradawiBooks.com

أعلن الإسلام من أوَّل يوم حربًا شَعْواء على الوثنيَّة بجميع أنواعها، وهي أشـد ما كانت سـلطانًا على النفوس، وتغلُّلًا فيها، وإفسادًا لفطرة الخير، وإطفاءً لنورها، حتَّى اجتثَّهـا، ومحا آثارها من النفوس والآفاق، وعمَر مكانَها بالتوحيد.

أتدرون السـرَّ في تلك الحملات على الوثنيَّة؟ هو تحرير العقل من نفوذها وسلطانها، حتَّى يواجه أمانة الدين الجديد صحيحًا معافًى، ويؤدِّي الوظيفة الَّتي خُلِق لأدائها، وما هدم أصحاب محمَّد الأصنامَ بأيديهم، إلَّا بعد أنْ هدم الوثنيَّة في نفوسـهم، وبعد أنْ بنـى عقولَهم من جديدٍ على صخرة التوحيد، ولولا ذلك لما أقدم خالد على هدم طاغية ثقيف[1].

وحرَّر الإسلام الخُلَطاء بعضهم من بعض، بما شرعه الله من أحكام عادلة تقوم بالقِسْـط، وترفع الحَيْـف والظلم، ووقف بـكلٍّ عندَ حَدِّه، وحفظ له حقوقه.

فحدَّ الحـدود بين المرأة والرجل، وبين المحكـوم والحاكم، وبين الفقير والغنيِّ، وبين العبيد والسادة، وبين العُمَّال وأصحاب المال، وهذه الأنواع من التحرير تناولتها النصوص القطعيَّـة من القرآن والأحاديث، واكتنفتها في طلب النصوص مؤثِّرات مـن الترغيب والترهيب، تزيدها قوَّة ورسوخًا في النفس.

فأمَّا تحرير المحكومين مـن الحاكمين، فلا مطمع أنْ يأتي فيه على وجه الدهر ما جاء به الإسـلام من شـرائع العدل والإحسان والشورى والرفق والرحمة وعدم المحاباة حتَّى في النظرة والكلمة والمجلس.

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٣٠٣/٥)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

QaradawiBooks.com

وأوَّل ما يسترعي النظر من ذلك سيرة محمَّد ﷺ وأقضيته في حياته، وما أدَّبه به ربُّه من مثل قوله: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾ [المائدة: ٤٩]، ﴿قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: ٦٦]، ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٍ﴾ [ق: ٤٥].

ثمَّ سيرة الخلفاء الراشدين في الحُكم، فإنَّها كانت مثالًا من أحكام النبوَّة الَّتي هي وحي يُوحى، وإنَّ الأمثلة الَّتي ضربها عمر في إقامة العدل وقوَّة الاضطلاع، لَأمثلة خالدة على الدهر، فاق بها من قبله، وأعجز من بعده، وما أروع قوله: من رأى منكم اعوجاجًا فيَّ فليُقوِّمه. وأروع منه قول مجيب من أفراد الرعية: لو رأينا فيك اعوجاجًا لقوَّمناه بسيوفنا. وأبلغ منهما في الروعة أن يحمد عمر ربَّه على أن يكون في أمة محمَّد من يُقَوِّم عمر بسيفه[1].

والتشريع الإسلامي متَّصل الحلقات من العقائد والعبادات إلى الآداب والمعاملات، وكله يرمي إلى غاية واحدة، وهي إنشاء أمة متَّحدة المبادئ والغايات، متناسقةِ ما بينها، لتحمل الأمانة كاملة صحيحة إلى الأجيال اللاحقة، وقد تم للإسلام ما أراد عدَّةَ قرون، وما زلنا بحمد الله نحمل بقايا من ذلك، ولولاها لكُنَّا في الغابرين.

وحرَّر الإسلام الفقيرَ من الغني، فجعل للفقراء حقًّا معلومًا في أموال الأغنياء. ووجهُ التحرير هنا أنَّ الفقير كان يسأل الغني، فيعطيه أو يحرمه، تبعًا لخلقه من تسهُّل أو كَزَازة، فإذا أعطاه شيئًا أخذه على أنه مكرُمة

(١) كفاية الطالب الرباني على رسالة ابن أبي زيد (١٥٣/١) تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، نشر دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ. ورواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٦٢٩) بنحوه، بدون ذكر السيف.

QaradawiBooks.com

ممنونة، تجرح نفسه، وإن أشبعت بطنَه، ولكن الإسلام ألزم الغنيَّ بدفع الزكاة للفقير وسمَّاها حقًّا معلومًا.

وتسمية هذا المال حقًّا لله، تُشعر الغنيَّ بالرضا والتسليم، والاطمئنان إلى أخلاقه ومضاعفته، وترفع عن الفقير غضاضة الاستجداء ومهانة السؤال، وتطهِّر نفسه مع ذلك من رذيلة الحقد على الغنيّ، وهذا الحقد هو أساس الشيوعية.

ومن عجائب الإسلام في إدخال التربية النفسيَّة في الأحكام، أنَّه لا يأمر بشيءٍ ولا ينهى عن شيءٍ من العمليَّات، إلَّا بعد أنْ يُمهِّد للنفس، ويعمرها بخوف الله وحده، ويُقنعها بالآثار الَّتي تترتَّب على المأمور به أو المنهيِّ عنه، فإذا جاء دور العمل كانت النفس مطمئنة بالعلم وراضية بالعمل مهما شَقَّ، ولهذا كانت عقائد الإسلام وعباداته وأحكامه وآدابه كلها مترابطة، وكلها متعاونة على تهذيب المسلم، ولهذا السر أيضًا صلح شأن المسلمين الأولين؛ لأنَّهم أقاموا الدين كلَّه، عينيًّا في العينيَّات، وكفائيًّا في الكفائيَّات، وكانوا لا يتهاونون في الصغيرة، احتياطًا للكبيرة، ومن أوامر القرآن: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وحرَّر الإسلام المرأةَ من ظلم الرجال وتحكُّمهم، فقد كانت المرأة في العالم كُلِّه في منزلة بين الحيوانيَّة والإنسانيَّة، بل هي إلى الحيوانيَّة أقرب، تتحكَّم فيها أهواء الرجال، وتتصرَّف فيها الاعتبارات العادية المجرَّدة من العقل، فهي حينًا متاع يُتخطَّف، وهي تارةً كرةٌ تُتلقَّف، تُعتبر أداةً للنسل، أو مطيَّة للشهوات، وربما كانت حالتها عند العرب أحسن، ومنزلتها أرفع، يرون فيها عاملًا من عوامل ترقيق العواطف وإرهاف النفس، ودواء لكثافة الطبع، وبلادة الحسّ، ويجدون فيها معاني جليلة

QaradawiBooks.com

من السموِّ الإنساني، وأشعارهم على كثرتها عامرةٌ بالاعتراف بسلطان المرأة على قلوبهم، وبشرح المعاني العالية الَّتي يجدونها فيها، ولا عبرة بما شاع عنهم من وأد البنات، فإنَّه لم يكن عامًّا فاشيًا فيهم، وتعليله عند فاعليه يُشعر أنه نتيجة حبٍّ طغى حتَّى انحرف، وأثرُ عقلٍ أسرف في تقدير العواقب، لا نتيجة كراهية لنوع الأنثى. وعلى كل حال، فالوأد خطأ كبير، وجريمة شنيعة، وشذوذ في أحكام الرجال خارج عن نطاق الإنسانيَّة، وحسْبُه تسفيهُ قولِه تعالى: ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: ٥٩].

وحرَّر الإسلام الحيوان الأعجم من الإنسان، وحرَّم عليه أنْ يُحمِّله ما لا يطيق من الأحمال والأعمال، وأنْ يُجيعه أو يُعطشه، فإذا فعل فيه شيئًا من ذلك بيع عليه جبرًا بحُكم الحاكم، وأوصى في الرفق بالحيوان وصايا زاجرة.

وفي حديث نبوي أنَّ امرأة دخلت النار بسبب هرَّة أمسكتها؛ فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خَشَاش الأرض[١]، وأن امرأة عاصية لله دخلت الجنَّة بسبب كلبٍ وجدته يلهث عطشًا على حفِّ بئر، فأدلت خُفَّها وسقته[٢]. وما من شيءٍ تفعله جمعيَّات الرفق بالحيوان في هذا العصر إلَّا وقد سبق الإسلام إلى أكمل منه»[٣].

(١) إشارة إلى حديث ابن عمر المتَّفق عليه: رواه البخاري في المساقاة (٢٣٦٥)، ومسلم في السلام (٢٢٤٢).

(٢) إشارة إلى الحديث المتَّفق عليه الذي رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٦٧)، ومسلم في السلام (٢٢٤٥)، عن أبي هريرة.

(٣) من بحثٍ ضافٍ تحت عنوان: الرق في الإسلام. انظر: آثار محمد البشير الإبراهيمي (٣٥٦/٤ ـ ٣٦٠)، جمع نجله د. أحمد طالب الإبراهيمي، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

ربط الإسلام بالعروبة:

والإسلام الَّذي يدعو إليه الإبراهيمي: مُخْتَلِط بالعروبة اختلاط اللحم بالدم، وكأنَّهما عنده مركب كيماوي امتزج فيه العنصران، كما امتزج الأكسجين والهيدروجين، فكوَّنا «الماء»، الَّذي جعل الله منه كلَّ شيءٍ حيًّا.

والعروبة الَّتي يدعو إليها ليست عرقيَّة ولا عنصريَّة، بل هي عروبة لغة وثقافة، وجوهرها اللسان العربي، وهو الَّذي نزل به القرآن الكريم: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٥].

وهو الَّذي تكلَّم به الرسول ﷺ، ورُوِيَتْ به أحاديثُه، ودُوِّنت به سُنَّته، الَّتي هي المصدر الثاني للإسلام بعد القرآن.

والعربيَّة هي لغة الأذان والإقامة، والقراءة في الصلاة، والتلبية في الحج وغيرها.

وقد أوجب الإمام الشافعي على كلِّ مسلم أنْ يتعلَّم من العربيَّة ما يؤدِّي به صلاته وعبادته[(١)].

كما أنَّ القرآن عربي، ومحمد ﷺ رسول الإسلام عربي، وأصحابه الَّذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتبعوا النور الَّذي أنزله معه: عرب، حتَّى مَنْ لم يكن منهم عربي الأَرُومة والعِرْق، فقد تعرَّب باللسان حين تكلَّم العربيَّة. وقد رُوي حديث عن النبيِّ ﷺ يقول: «**إنَّما العُرُوبة اللسان، فمن تكلَّم بالعربيَّة، فهو عربيٌّ**»[(٢)].

---

(١) انظر: الرسالة صـ ٤٨، تحقيق أحمد شاكر، نشر مكتبة الحلبي، مصر، ط١، ١٣٥٨هـ ـ ١٩٤٠م.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٠٧/٢١) عن معاذ بن جبل. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: =

QaradawiBooks.com

وأرض العرب هي أرض الإسلام ومهده ومنبته، فيها نشأت الدعوة، وإليها كانت الهجـرة، وبها كانت الوفاة، وهـي الَّتي ضمَّت رفاته ﷺ، والمساجد الكبرى المقدسة في الإسلام؛ والتي لا تُشد الرحال إلَّا إليها في أرض العرب: المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى.

ويعتبر الشيخ الإبراهيمي أهم مكونات «الذات الجزائريَّة» إنَّما هي: «الإسلام والعروبة».

الإسلام الَّذي لا يرفض العروبة، مثل إسلام الغلاة، الَّذين زعموا أنَّ الإسلام يرفض كلَّ القوميات، لا فرق بين قوميَّة عربيَّة، وقوميَّة هنديَّة أو طورانيَّة أو فرعونيَّة أو غيرها. ونسوا خصوصيَّة العروبة، وما لها من صلة حميمة بالإسلام، أشرنا إليها.

والعروبة الَّتي لا تنفصل عن الإسـلام، ولا تعتبر نفسـها ندًّا له أو خصمًا. مثل عروبة «القوميـين» المعتصمين الَّذين ينصبـون حربًا بين العروبة والإسلام، والذين اعتبر بعضهم القوميَّة العربيَّة «دينًا جديدًا» أو «نبوة» جديدة، والذين قال شاعرهم:

بِـلَادُكَ قَدِّمْهـا علـى كُلِّ مِلَّـةٍ ومِنْ أَجْلِها أَفْطِرْ، وَمِنْ أَجْلِهَا صُمِ!
سَـلَامٌ على كُفْـرٍ يُوَحِّـد بَيْنَنا وأهـلًا وسـهلًا بعـدَه بِجَهَنَّمِ[1]

وطالما أبدأ الشـيخ وأعاد، وأفاض وأجاد، حول هذه القضيَّة، ليقنع بها العقول، ويحرك بها العواطف، ويحفز بها العزائم.

= هذا الحديث ضعيف؛ وكأنه مركب على مالك، لكن معناه ليس ببعيد، بل هو صحيح من بعض الوجوه. انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٤٦١/١)، تحقيق ناصر عبد الكريم العقل، نشر دار عالم الكتب، بيروت، ط ٧، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

(١) البيتان لرشيد سليم الخوري، الشهير بالشاعر القروي. كما في ديوانه الأعاصير صـ ١١١، نشر مطابع مجلة الشرق.

QaradawiBooks.com

حماية الإسلام من المتأكِّلين باسمه:

وكان من حرص الشيخ على حماية الإسلام من الدجَّالين، يصب جام غضبه على أولئك الَّذين يلبسون لُبوس العلماء، ثمَّ هم يعملون لخدمة الاستعمار تحت عنوان الوظائف الدينيَّة: كالإمامة والخطابة والتدريس والفتوى.

وهذه هي الكارثة: أنْ يتحدَّث باسم الإسلام رؤوس جُهَّال، يُسألون، فيُفتُون بغير علم، فيَضلُّون ويُضلون، أو أسوأ من ذلك؛ أنْ يفتوا بما يُرضي سادة الاستعمار، وإنْ أسخط الواحد القهَّار، وإنَّما ينتصر الإسلام بالعلماء لا بالعملاء، وبالدُّعاة لا بالأدعياء.

يقول الشيخ: «إنَّ المسجد لا يؤدِّي وظيفته، ولا يكون مدرسة للقرآن، إلَّا إذا شاده أهل القرآن، وعمَّروه على مناهج القرآن، وذادوا عنه كلَّ عادية. وما جعل القرآنُ المساجدَ لله، إلَّا لتكون منبعًا لهدايته، وما وصف الَّذين يَعْمُرون مساجد الله بأنَّهم لا يخشون إلَّا الله[1]، إلَّا ليقيم الحُجَّة على ضعفاء الإيمان ويعزلهم عن هذه المرتبة.

وصدق الله وصدق رسوله الَّذي وصف القرآن بأنَّه لا تنقضي عجائبُه[2]! فوالله لكأنَّ هذه الجملة ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ من هذه الآية بهذا الأسلوب المفيد للحصر بأبلغ صِيَغه نزلت اليوم، وهَّاجة بأنوار

(١) يشير إلى قوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨].

(٢) جزء من حديث رواه الترمذي في فضائل القرآن (٢٩٠٦)، وقال: حديث غريب لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه، وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال. وضعفه الألباني في الضعيفة (٦٣٩٣)، عن علي بن أبي طالب. ومعنى الحديث صحيح، وإن كان إسناده ضعيفًا.

QaradawiBooks.com

الرسـالة، مطلولة بأنداء الوحي، لتكون حُجَّتنا القاطعة على هذا النمط من عُمَّار المساجد الَّذين يخشون المخلوق ولا يخشون الله»[١].

لقد وقفت جمعيَّة العلماء لتذود عن الإسلام في شتَّى الميادين، كما يذود الأسـد عن عَرِينه، وكما يدافع الحُر عن عِرْضه، وكما يدافع الوالد عن ولده وفِلْذة كبده.

دافعتْ عنه في ثلاثة ميادين في وقت واحد:

أ ـ في الميدان الخارجي: بما ردَّت به من شُبَه الطاعنين، وكفكفت من غلواء المبشِّرين، وبما أقامت من حصون في وجوه الملحدين.

ب ـ وفي الميدان الخـاص بالحكومة الجزائريَّـة: وخصوصًا في قضيَّة «فصل الدين عن الحكومة» الَّتي تناولها الشيخ في مقالات عدة تحمل النور والنار، تناولتها بالشرح والتحليل، وبالبيان والتذليل، ولم يهن لها عزيمـة، ولا خارت لها في المطالبة قـوة، ولم يخدعها وعد، ولا ردَّها وعيد.

ت ـ وفي الميدان الداخلي: بينها وبين قومها وأبناء ملَّتها، حتَّى تعلَّم الجاهل، واهتدى الضالّ، وفاء إلى الرشد الغَوِيّ.

عمل جمعيَّة العلماء لخدمة الإسلام:

ويخاطب الشيخ الاستعمار الفرنسي بلُغةٍ قَوِيَّة لا وهن بها، صريحة لا جمجمة فيها، موضِّحًا ماذا تريده جمعيَّة العلماء، وما تعمل من أجل الإسلام والعروبة، فيقول: «يا حضرةَ الاستعمار، إنَّ جمعيَّة العلماء تعمل

(١) جريدة البصائر، العدد (١٥٣)، ١٩٢١م، تحت عنوان: كلمتنا عن الأئمة.

QaradawiBooks.com

للإسلام بإصلاح عقائده، وتفهيم حقائقه، وإحياء آدابه وتاريخه، وتطالبك بتسليم مساجده وأوقافه إلى أهلها.

وتطالبك باستقلال قضائه، وتُسَمِّي عُدوانَك على الإسلام ولسانه ومعابده وقضائه: عدوانًا بصريح اللفظ.

وتطالبك بحُرِّيَّة التعليم العربي، وتدافع عن «الذاتيَّة الجزائريَّة» الَّتي هي عبارة عن «العروبة والإسلام» مُجتمِعَيْن في وطن.

وتعمل لإحياء اللغة العربيَّة وآدابها وتاريخها، في موطنٍ عربيٍّ، وبين قومٍ من العرب.

وتعمل لتوحيد كلمة المسلمين في الدِّين والدُّنيا، وتعمل لتمكين أخوَّة الإسلام العامَّة بين المسلمين كُلِّهم.

وتذكِّر المسلمين الَّذين يبلغهم صوتها بحقائق دِينِهم، وسير أعلامهم، وأمجاد تاريخهم.

وتعمل لتقوية رابطة العروبة بين العربيِّ والعربيِّ؛ لأنَّ ذلك طريق إلى خدمة اللغة والأدب.

فإذا كانت هذه الأعمال تُعَدُّ في فهمك ونظرك «سياسة»، فنحن سياسيُّون في العلانية لا في السرِّ، وبالصراحة لا بالجَمْجمة.

إنَّنا نَعُدُّ كُلَّ هذا «دِينًا» على الحقيقة، لا على التوسُّع والتخيُّل، ونعُدُّه من واجبات الإسلام الَّتي لا نخرج من عهدتها إلَّا بأدائها على وجهها الصحيح الكامل.

ولتعلمْ أنَّنا نفهم الإسلام على حقيقته، وأنَّنا لا نستنزلُ عن ذلك الفهم بِرُقْيَة راقٍ، ولا بتهديد مهدِّد. ولْتعلمْ سلفًا، ولتُسَلِّمْ منطقيًّا

QaradawiBooks.com

وواقعيًّا: أنَّنا حين تختلف الأنظار بينك وبين الإسلام، فنحن مع الإسلام؛ لأنَّنا مسلمون، ولتعلمْ أنَّ تلك الأعمال تَزِيدُنا مع جلال العلم جلال العمل.

لِتَعْلَمْ: ما دام الإسلامُ عقيدةً وشعائر، وقرآنًا وحديثًا، وقبلةً واحدة، فالمسلمون كلُّهم أمة واحدة. وما دامت اللُّغةُ العربيَّة لسانًا وبيانًا وترجمانًا، فالعرب كلُّهم أُمَّة واحدة. كل ذلك كما أراد القدر المقدور، والطبيعة المطبوعة، والأعراق المتواصلة، والأرحام المتشابكة، «فلا إسلام جزائري»[1] كما تريد، ولا عنصريَّة بربريَّة كما تشاء.

ولتعلمْ آخرَ ما تعلم: أنَّ زمنًا كنتَ تُسَلِّطُ فيه المسلم على المسلم ليَقْتُلَه في سبيلك قد انقضى، وأنَّه لن يعود.

ولكنْ ما قولك ـ أيُّها الاستعمار ـ في تدخُّلك في دِينِنا، وابتلاعِكَ لأوقافنا، واحتكارِكَ للتصرُّف في وظائف دِينِنا، وتحكُّمك في شعائرنا، وتسلُّطك على قضائنا، وامتهانِك للُغَتِنا؟

ما قولُك في كلِّ ذلك؟ أهو من الدِّين أم من السياسة؟

وكيف تبيح لنفسك التدخُّل فيما لا يَعْنيكَ من شؤون ديننا، ثمَّ تُحَرِّم علينا الدخول فيما يَعْنينا من شؤون دنيانا؟

وهَبْنا وإيَّاك فريقَيْن: فريق أخضع الدِّين للسياسة ظالمًا، وفريق أدخل السياسةَ في الدِّين مُتَظَلِّمًا، فهل يستويان؟ إنَّنا إذا حاكمنك إلى الحقِّ

(١) «الإسلام الجزائري» هو غاية كان يعمل لها الاستعمار بجميع الوسائل ليفصل على مرِّ الزمن بين مسلمي الجزائر وبين بقية المسلمين، ولكن الله خيَّبه!

QaradawiBooks.com

غلبناك، وإذا حاكمتنا إلى القوَّة غلبتنا؛ ولكنَّنا قومٌ نَدينُ بأنَّ العاقبة للحقِّ لا للقوَّة»[1] انتهى.

بهذا المنطق الرصين، وبهذا البيان القــويِّ، وبهذه اللُّغة الحيَّة، كان علَّامتنا البشير الإبراهيمي يتحدَّث عن جمعيَّة العلماء ودورها ورسالتها. وما كان هناك قلمٌ أبلغُ من قلمه ليُجلي ذلك للنَّاس.

* * *

(١) جريدة البصائر، العدد (٣)، ١٩٤٧م.

QaradawiBooks.com

٢

الوَحدة والحُرِّيَّة (التحرير والتوحيد) محورًا وهدفًا

وكان هدف الشيخ الإبراهيمي من عمله الإصلاحي الكبير الَّذي بدأه من ابن باديس ورفقائه في الدرب، هو إعداد الشعب الجزائري المسلم ليومٍ لا ريب فيه، هو يوم التحرُّر من الاستعمار الفرنسي الاستيطاني المتغطرس، الَّذي طال ليلُه، وطمَّ سيلُه.

ولن يُحَرِّر الوطن الجزائري من نِيرِ الاستعمار إلَّا الشعب الجزائري، ولن يتمَّ ذلك إلَّا إذا حرَّرنا نفسيَّة الشعب من الخنوع للمستعمر، ومن التبعيَّة لثقافته، ومن اليأس من مقاومته.

وحينئذٍ سيتحوَّل هذا الشعب كلُّه إلى جنود للكفاح، بل إلى أبطال تَنشُد الجهاد والاستشهاد، حين تُحَلُّ العُقدة، وتتحكَّم العقيدة، وتتَّضح الغاية، وتستبين الطريق، وتستحكم العزيمة، ويسود قبل ذلك كلِّه: الإيمان بالله، والثقة بنصره، والإيمان بأنَّ الحقَّ مع الشعب المجاهد، وأنَّ الباطل مع العدوِّ المستعمر، وأنَّ الحقَّ لا بدَّ أنْ ينتصر على الباطل: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

كان لا بدَّ من غرس العزَّة في الأنفس، واليقين في السرائر، والأمل في القلوب، والبغض للذل والخنوع، والشعور بالسيادة، والتوق إلى الحُرِّيَّة، وهذا ما أخذته على عاتقها «جمعيَّة العلماء» ورجالها منذ

QaradawiBooks.com

تأسيســها، وفي مقدمتهم رئيس الجمعيَّــة الأول: الإمام عبد الحميد بن باديس، ونائبه الإمام محمَّد البشير الإبراهيمي.

وكان الإبراهيمي ـ وهو أديب من الطــراز الأول، له طابعه المتميِّز وأسلوبه الخاص ـ يرسل قلمه شواظًا من نار على الاستعمار ووحشيته، وأســاليبه في القهر والإذلال، ومحاولــة طمس الهُوِيَّــة، وتغيير معالم الشخصيَّة الجزائريَّة.

وكانت «البصائر» تحمل دائمًا ما يجود به قلم الشــيخ، من نفحات على الوطن، ولفحات على الاستعمار.

التحرير الَّذي يَنْشُده الإبراهيمي:

والتحرير الَّذي يَنْشُــده الإمام الإبراهيمي: تحرير عامٌّ شامل، يشمل تحرير الإنسان، وتحرير الأرض. تحرير الفرد، وتحرير المجتمع. تحرير الرجــل، وتحرير المــرأة. تحرير العقــل، وتحرير البــدن. التحرير من الاستعمار الخارجي، والتحرير من الاستعمار الداخلي.

هذا هو التحرير المنشــود للإبراهيمي، وإن شئت قلت: إنَّه التحرير الَّذي تنشــده جمعيَّة العلماء، فما الشــيخ في وقفته إلَّا لســانها المُعَبِّر، وعقلها المُفَكِّر، وداعيتُها المُذَكِّر.

إشاعة كلمة «الحُرِّيَّة» في محيط الشعب:

وكانت كلمة «الحُرِّيَّة» من الكلمات المحظورة، الَّتي لا يجوز ذكرها في حديث ولا خطبة، ولا درس ولا محاضرة ولا كتاب. كأنما لا توجد في اللغة أصلًا. وكان الاستعمار حريصًا على إخفائها وإماتتها، حتَّى جاء

QaradawiBooks.com

ابن باديس وإخوانه، فأحيَوْها بعد موتها، ونشروها من قبرها، وأشاعوها بين الناس، وحبَّبوها إليهم.

يقول العلَّامة الإبراهيمي متحدِّثًا عن سنوات المخاض والتحضير للنهضة الكبرى: «كانت السنوات العشر الَّتي هي أوائل المرحلة الثالثة في تقسيمنا كلُّها إرهاصات بتكوين جمعيَّة العلماء، وكانت كلمات: الوطنيَّة، والإسلام وتاريخه، والحُرِّيَّة والاستقلال، قد وجدت مساغها في النفوس، وممرها إلى العقول؛ لأنَّها كانت تخرج من لسان ابن باديس وصحبه العلماء الشجعان، الموثوق بعلمهم ودينهم وأمانتهم، فيرنُّ رنينُها في الآذان، ويُجاوز صداها إلى الأذهان، بعد أنْ كانت هذه الكلمات مُحَرَّمة في فقه الاستعمار، ومهجورة في فقه الفقهاء، الَّذين نشؤوا تحت رهبة الاستعمار، ومجهولة عند بقيَّة الأمَّة، فكان أوَّل من نطق بها على أنَّها لغة حية صحيحة الاستعمال، هو: عبد الحميد بن باديس العالم الديني، واثنان أو ثلاثة من طرازه، ولكنَّ ابن باديس كان يقولها لتلامذته في حِلَق الدرس ليطبعهم عليها، فلمَّا أحسَّ بالنجدة من إخوانه أصبحت هذه «العملة» مطروحة للاستعمال، وقدَّر عواقبها الوخيمة عليه، فاحتاط لها بما نشرحه، لكن في الفصل الثاني، وهو: أعمال الاستعمار في هذه المرحلة.

وكنت على إثر رجوعي واجتماعي بهذا الأخ، نتداول الرأي في هذا الموضوع، ونضع مناهجه، ونخطِّط خططه، ومعنا بعض الإخوان، فأجمعنا، في معرض الرأي الفاصل، على أنَّنا أمام استعمارَيْن يلتقيان عند غاية:

أحدهما: استعمار رُوحاني داخلي: يقوم به جماعة من إخواننا الَّذين يُصَلُّون لقِبْلَتِنا باسم الدِّين، وغايتهم استغلال الأمَّة، ووسيلتهم صدُّ الأمَّة

QaradawiBooks.com

عن العلم، حتَّى يستمرَّ لهم اســتغلالها، وهؤلاء مشايخ الطرق الصوفيَّة الَّتي شوَّهت محاسن الإسلام.

والثاني: اســتعمار مادِّيٌّ: تقوم به حكومة الجزائر باســم فرنســا، وغايته استغلال الأمَّة، ووسيلته سدُّ أبواب العلم في وجه الأمَّة، حتَّى يتمَّ لها استغلالها.

والاســتعماران يتقارضان التأييد، ويتبادلان المعونة، كلُّ ذلك على حســاب الأمَّة الجزائريَّة المســكينة، أولئك يُضلُّونها، وهؤلاء يُذلُّونها، وجميعهم يستغلُّونها!

كنَّا نتَّفق على هذا، ولكنَّنا نُجمل الرأي في أي الاستعمارَيْن يجب أنْ نبدأ بالهجوم عليه. ولم يكــن من الصعب علينا الاتِّفــاق على الهدف الأوَّل للهجوم، فاتَّفقنا على أنْ نبدأ بالهجوم على الاستعمار الأوَّل، وهو الطرق الصوفيَّة؛ لأنَّها هي مطايا الاســتعمار الفرنسي في شمال أفريقيا ووسطها وغربها، ولولاها لم يتمَّ له تمام.

والصوفيَّة أو الطُّرُقيَّة ـ كما نُسمِّيها نحن في مواقفنا معها ـ هي نزعة مُسْتَحْدَثة في الإسلام، لا تخلو من بذورٍ فارسيَّة قديمة، بما أنَّ نشأة هذه النزعة كانت ببغداد في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة، واصطباغُ بغداد بالألوان الفارســيَّة في الدِّيــن والدُّنيا معروفٌ، وتدسُّــس بعض المُتَنَطِّعين من الفرس إلى مكامن العقائد الإسلاميَّة لإفسادها؛ لا يقلُّ عن تدسُّــس بعضهم إلى مجامع السياســة، وبعضهم إلى فضائل المجتمع وآدابها لإفســادها. ومبنى هذه النِّحْلة في ظاهر أمرهــا التبتُّل والانقطاع للعبادات الَّتي جاء بها الإســلام، ومجاهدة النفس مــن طريق الرياضة بفَطْمِها عن الشهوات، حتَّى تصفو الرُّوح وتَشِفُّ وتَرِقُّ، وتتأهَّل لمشارفة

QaradawiBooks.com

الملأ الأعلى، وتكون بمَقْرُبة من أُفق النُّبُوَّة، وتتذوَّق لذَّة العبادة الرُّوحيَّة، وقد افترق النازعون إلى هذه النزعة من أوَّل خطوة فِرَقًا. وذهبوا فيها مذاهب، من القصد الَّذي يمثله أبو القاسم الجنيد، إلى الغلو الَّذي يمثله أبو منصور الحلَّاج، إلى ما بين هذين الطرفين.

وكانت لأئمَّة السُّنَّة وحماتها، الواقفين عند حدودها ومقاصدها ومأثوراتها: مواقف مع الحاملين لهذه النزعة، وموازين يزنون بها أعمالهم وآراءهم، وما يبدر على ألسنتهم من القول فيها، ولسان هذه الموازين هو صريح الكتاب وصحيح السُّنَّة، وكانت في أوَّل ظهورها بسيطة تنحصر في الخلوة للعبادة، أو الجلوس لإرشاد وتربية من يشهد مجالسهم، ثمَّ استفحل أمرها فاستحالت علمًا مستقلًّا، يشكل معجمًا كاملًا للاصطلاحات، ودُوِّنت فيها الدواوين الَّتي تُحَلِّل وتشرح وتصف الألوان الباطنيَّة للنفس، وتُبيِّن الطريق الموصِّل إلى الله، والوسيلة المؤدِّية للسعادة، وكيفية الخلاص من مضايق هذا الطريق وأوعاره، ثمَّ انتقلت في القرون الوسطى من تلك الأعمال الَّتي تستر أصحابها، إلى الأقوال الَّتي تفضحهم، فخاضوا في شرح مُغَيَّبات، وأفاضوا في جدالٍ مكشوفٍ بينهم وبين خصومهم، وكانوا سببًا من الأسباب الأصيلة في شقِّ الأمَّة شِقَّين: أنصارٍ، ومُنْكِرين. وضاعت في هذا الضجيج ثمرة هذه النِّحْلة، وهي رياضة النفس اللَّجوج على العبادة، وقمع نزواتها البدنيَّة، وأصبحت هذه النِّحلة أقوالًا تدافع، يقولها من لا يفقه لها معنًى، فضلًا عن أنْ تصطبغ بها نفسه.

والحقُّ في هذه النزعة أنَّها صبغة رُوحيَّة مرجوحة في ميزان الشرع وأحكامه، فإنَّ الدِّين قد تكامل بختام الوحي، والزيادة فيه بعد ذلك

QaradawiBooks.com

كالنقص منه، كلاهما منكَر، وكلاهما مرفوض، وما لم يكن يومئذٍ دينًا، فليس بدِين بعد ذلك.

ولكن تلك النزعة الَّتي عفا رسمُها بقي اسمُها، ولم يبق بقاء تاريخيًّا للعظة والاعتبار، وإنَّما بقي فتنةً بين المسلمين، وميدانًا لعلمائهم يتراشقون فيه ويتنازعون، ولعامَّتهم يلهَوْن فيه ويلعبون، ويضلُّون بسببه عن حقائق دينهم ودنياهم.

وانتهى بها الأمر في القرون الأخيرة إلى نسبة مجرَّدة من جميع المعاني، ينتسب إليها تقحُّمًا كل من هبَّ ودبَّ، لا يطلبها من طريق علمٍ ولا تربية، ولكن من طريق الشعوذة والحيلة، ثمَّ تدلَّت دَرَكَة أخرى، فأصبحت وسيلة مَعَاشٍ! ومصيدة لابتزاز أموال العامَّة، وانتهاكًا لأعراضهم، وهناك التقت مع الاستعمار في طريقٍ واحد، فتعارفا وتعاهدا على الولاء.

ابحثُوا في تاريخ الاستعمار العامِّ، واستقصُوا أنواع الأسلحة الَّتي فتك بها في الشعوب، تجدوا فَتْكَها في استعمال هذا النوع الَّذي يُسَمَّى «الطرق الصوفيَّة»، وإذا خَفِيَ هذا في الشرق، أو لم تظهر آثاره جَلِيَّة في الاستعمار الإنجليزي، فإنَّ الاستعمار الفرنسي ما رست قواعده في الجزائر، وفي شمال إفريقيا على العموم، وفي إفريقيا الغربيَّة وفي إفريقيا الوسطى، إلَّا على الطرق الصوفيَّة وبواسطتها!

ولقد قال قائد عسكري فرنسي معروف، كلمة أحاطت بالمعنى من جميع أطرافه، قال: «إنَّ كسب شيخِ طريقةٍ صوفيَّة أنفعُ لنا من تجهيز جيشٍ كامل، وقد يكونون ملايين، ولو اعتمدنا في إخضاعهم على الأموال والجيوش لما أفادتنا ما تفيده تلك الكلمة الواحدة من الشيخ.

QaradawiBooks.com

على أنَّ الخضوع لقوَّتنا لا تؤمَن عواقبه؛ لأنَّه ليس من القلب، أمَّا كلمة الشيخ، فإنَّها تجلب لنا القلوب والأبدان والأموال أيضًا».

هذا معنى كلمة القائد الفرنسي وشرحها، ولَعَمْري إنَّها لكلمةٌ تكشف الغطاء عن حقيقة ما زال كثير من إخواننا الشـرقيِّين منها في شكٍّ مُرِيب، وهم لا يدرون أنَّ أوَّل من خرج عن جماعة الأمير عبد القادر الجزائري في أيام جهاده شيخ طريقة معروفة، وأنَّ من أكبر أسباب هزيمته استعانة فرنسا عليه بمشـايخ الطرق الصوفيَّة، وإعلان كثير من أتباعهم الخضوع لفرنسا، فهل نحتاج بعد هذا إلى دليـل؟! وأنَّ تاريخ تلك الوقائـع لم يزل مداده طريًّا، وما زال الاستعمار بالجزائر يسمِّي هؤلاء المشايخ «أحباب فرنسا».

وإنِّي أتعجَّل لكم البشـرى بأنَّ أحفاد أولئك المشايخ ـ إلَّا ما قلَّ ـ أصبحوا من أكبر الناقمين على الاستعمار، بل أصبح بعضهم من الغلاة في الوطنيَّة، ومن الصفوف الأولـى من أنصار العلم والتعليم، والداعين إليهما، والعاملين على نشـرهما بالجاه والمال، ولا تكاد توجد مدرسة من مدارس جمعيَّة العلمـاء خالية من عدد من أولادهـم، متعلِّمين أو مُعلِّمين، ومنهم كثير في الجامعات الإسـلاميَّة: القرويِّيـن، والزيتونة، والأزهر»[1] اهـ.

ولنا على كلام الشيخ عن التصوُّف والصوفيَّة: ملاحظتان:

الأولى: أنَّه لم يستثنِ أحدًا، على نحو ما قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤].

(١) انظر: آثار البشير الإبراهيمي (١٤١/٥ ـ ١٤٣)، وهو جزء من مجموعة محاضرات ألقاها الشيخ البشير في معهد الدراسـات العربية في القاهرة في أوائل الخمسينيات من القرن العشرين تحت عنوان: الاستعمار الفرنسي في الجزائر.

QaradawiBooks.com

الثانية: أنَّ الشيخ الإبراهيمي كان شـديد الوطأة حارَّ الهجوم حديد اللسان على التصوُّف والصوفيَّة.

ولعلَّ الحرب الَّتي كانت دائرة بين الطرفين، هـي الَّتي زادت النار اشتعالًا، وأنَّ الاسـتعمار كان يؤيِّد أصحاب الطرق ويستعين بهم، وأنَّ المتصوِّفة كانوا يتطرَّفون فـي محاربة دعاة الإصـلاح والتجديد، حتَّى حكى الإبراهيمي أنَّه سمع أحد الصوفيَّة الكبار يقول عن العلَّامة رشيد رضا: إنَّه أضرُّ على الإسلام من ألف كافر[1].

التوحيد هو الهدف الثاني:

كانت الحُرِّيَّة ـ أو التحرير ـ هي الأمل الأوَّل الَّذي يسعى إلى تحقيقه الإمام الإبراهيمي، وكانت الوَحدة ـ أو التوحيد ـ هي الأمل الثاني الَّذي يرنو إليه أو يُصِرُّ عليه.

وهذه الوَحدة تبدأ بوحـدة الجزائر أولًا، قوَّة الشـمال الإفريقي أو المغرب العربي، فوحدة الأمَّة العربيَّة، وانتهاء بوحدة الأمَّة الإسلاميَّة.

وكانت وحدة الجزائر والجزائريِّين هي شغله الشاغل، فهو يعمل دائبًا بقلمه ولسـانه، وفكره ووجدانـه، وحركته مع إخوانـه، لصهر عنصُرَي الشعب الجزائري: عربه وبربره ـ كما هو الواقع ـ في بوتقةٍ واحدة. ويرى أنَّ الإسلام قد عرَّب الشعب الجزائري، كما عرَّب المغرب العربي كلَّه.

---

(١) قائل هذه العبارة هو الشيخ يوسف النبهاني، كما في آثار الإمام البشير الإبراهيمي (١٨٠/١). ومـن أراد أن يتعرف على رأينا في التصـوف والصوفية، فليراجع كتابنـا: فتاوى معاصرة (٧٣٨/١)، نشـر دار القلـم، ط٩، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م، وكتابنا: الحياة الربانيـة والعلم صـ ١٢ وما بعدها، نشر مكتبة وهبة، ط٦، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

QaradawiBooks.com

وهو يعجب من الَّذيــن يريدون أنْ يجعلوا البربر فرنســيِّين، وليس بينهم وبين فرنســا نســب ولا آصرة دينيَّــة، ولا عرقيَّــة، ولا تاريخيَّة، ولا جغرافيَّة، في حين أنَّ بينهم وبين العروبة أكثر من آصرة!

البداية بتوحيد الشعب الجزائري:

كان سعي الشــيخ في مجال التجميع والتوحيد: البدء بتوحيد الشعب الجزائري أوَّلًا. وهذا بدء طبيعي منطقي كما في الحديث: «**ابدأْ بنفسك**»[1].

كان يريد أنْ يتوحَّد الشــعب الجزائري توحُّدًا حقيقيًّا، بحيث يكون كالبنيان المرصوص، يشدُّ بعضه بعضًا، أو كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضوٌ تألَّم سائر الأعضاء.

وهنا لا يســمح بإثارة أي نوع من الخلافات المفرِّقة بين الشــعب الواحد، فلا مجال للقول بانقســام الجزائر إلى عرب وبربر، فقد عرَّب الإسلام البربر، كما عرَّب المصريِّين وغيرهم من الشعوب.

ولقد بذل الأستاذ جهده، بتفنيد هذه الأسطورة، فنقضها من أساسها، وأثبت أنَّ الأخوة الإســلاميَّة قد أذابت الفــوارق بينهما، وجعلت منهما شيئًا واحدًا، على مدار التاريخ.

واجتهد الشــيخ الإبراهيمي أنْ يجنب الشــعب الجزائري أســباب الخلاف الديني، من جرَّاء الاختلاف في قضايا علم الكلام، أو مذاهب الفقه، أو اتجاهات التصوُّف.

كما حذَّر الشــيخ من مكايد الاســتعمار ودسائســه، ومــن همزاته ووساوسه، ومن سياسته المعروفة، الَّتي شعارها «فرِّقْ تسُد».

(١) جزء من حديث رواه مسلم في الزكاة (٩٩٧)، عن جابر بن عبد الله.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وحاول الشـــيخ هو ورفقاء دربه: أنْ يجمعوا الشـــعب على الإسلام الصحيح، الإسلام الأول، إسلام القرآن والسُّنَّة، وأنْ يحرِّروه مما سوى ذلك؛ من مبتدعات العامَّة، وضلالات الخاصة، أو ما سماه الإمام محمَّد عبده: شهوات سلاطين، أو نزغات شياطين.

وقد حرص الإبراهيمي على توحيد الشـــعب الجزائري في شـــعائره الدينيَّة، كما حرص على توحيد مواقفـــه الوطنيَّة، وقد جاهد وكافح من أجل توحيد الشـــعب في صيامه وفطره، وكتب في ذلك مقالات ضافية، يرد بها على لجنـــة الأهلَّة المُعَيَّنة من قبل الســـلطة الفرنســـيَّة، ويُهيب بالشعب المسلم أنْ يوحِّد صيامه وإفطاره[1].

ضرورة الاتِّحاد وضرر الخلاف:

بدأ الشـــيخ دعوته إلى الاتِّحاد ـ كمـــا قلنا ـ مـــن المُنْطَلَق الطبيعي والمنطقي: أنْ تتَّحد الجزائر وشعبها أولًا في مواجهة الاستعمار الفرنسي بســـلطانه وجبروته، فكانت الدعوة إلى توحيـــد عنصري الوطن: العرب والبربر. ثمَّ كانت الدعوة إلى اتِّحاد الأحزاب الوطنيَّة الَّتي تعمل لتحرير الجزائر. وكان الشـــيخ يُلِحُّ في هذه الدعوة ويؤكدها ويكررها، ويناضل عنها بقوَّة يقول في ذلك: «كلُّ مســـلمٍ عربيٍّ جزائري مخلص يُؤَيِّدنا في الدعوة إلى هذا الاتِّحاد. ويودُّ منه ما نودُّ، ويعتقد فيها ما نعتقده، من أنَّه المعقل الوحيد للقضيَّة الجزائريَّة، والوســـيلة الوحيـــدة لنجاحها، ويرى ما نرى من آثار هذا التفرق الشنيع الَّذي شتَّت شمل هذه الأمَّة الضعيفة،

(١) انظر في ذلك مقالات رمضان آثار محمد البشير الإبراهيمي، لجنة الأهلية والأعياد الإسلامية (٢٢٤/٢)، وحدة الصـــوم والإفطار (٢٨٥/٢)، بيانات للأمـــة (٤٠٥/٢)، أكبر زلة تقترفها لجنة الأهلة (٤٠٩/٢)، ونعود إلى لجنة الأهلة (٤١٤/٢)، هلال رمضان معلومات وتنبيهات (٤١٨/٢).

QaradawiBooks.com

فزادها ضعفًا على ضعف، في وقت تطلَّعت فيه إلى المطالبة بحقِّها، فهي فيه أحوج ما تكون إلى جمع القُوى، والتئام الشمل، واتِّحاد الكلمة.

ترد علينا رسائل كثيرة من عقلاء الأُمَّة المخلصين لها، السالمين من عصبيَّة الحزبيَّة، وكلُّها حضٌّ على السعي في الاتِّحاد بين الأحزاب، وجمع الكلمة المتفرِّقة في هذا الوقت، الَّذي تجمعت فيه جموع الاستعمار على دحض حقِّنا بباطله، وفي هذا الجو الَّذي كله نُذُر ومخاوف، والرسائل على كثرتها، بحيث لا يخلو منها بريد يومي، وخصوصًا في الأسابيع الأخيرة، كأنما كُتبت بقلم واحد في أمور ثلاثة: التشهير بضرر الخلاف، والتنويه بضرورة الاتِّحاد، وتعليق الأمل في جمع الكلمة على كاتب هذه السطور وجمعيَّة العلماء.

وقد تغالى بعض الكاتبين، فعصب قضيَّة الاتِّحاد برأس كاتب هذه الكلمة، وجعلها عُهدة في عنقه، وبالغ بعضُهم ـ وهو من ذوي الآراء النيِّرة والعلم الواسع والإخلاص المحقَّق ـ فقفز إلى غاية الغايات، وهي جمع الكفاءات في حزبٍ واحد.

أمَّا ضرر الخلاف على القضيَّة الجزائريَّة، فهو أمرٌ يستوي في إدراكه جميع الناس، وأمَّا ضرورة الاتِّحاد، فهي أمرٌ لا يختلف فيه عاقلان، وهو أمنية كلِّ مسلمٍ مخلص لدينه وجنسه ووطنه، وقد شعر به المسؤولون من رجال الأحزاب، فتداعَوْا إليه جَهْرة، في حين حدَّة الخلاف وعنفوانه، ووجود أقوى أسبابه. ولا يُماري في لزوم الاتِّحاد إلَّا قصيرُ النظر في العواقب، أو خادمٌ لركاب الاستعمار من حيث يدري أو لا يدري، أو مدخولُ النَّسَب في الوطنيَّة»[1].

(١) آثار البشير الإبراهيمي (٣٠٥/٣).

QaradawiBooks.com

توحيد الشمال الإفريقي:

وبعد توحيد الجزائر شعبًا ووطنًا: توحيد فكرتها، وتوحيد عبادتها، وتوحيد وقفتها، ورصها صفًّا واحدًا في مواجهة المعركة المرتقبة، الآتية في يوم لا ريب فيه؛ اتَّجه الشيخُ إلى توحيد الشمال الإفريقي ـ أو المغرب العربي ـ كلِّه. فإنَّما هو وطنٌ واحد، وشعبٌ واحد، بعضه من بعض، وأقصاه موصول بأدناه، فهو شعبٌ عربيٌّ مسلم، ربطت بينه العروبة والإسلام، كما ربط بينه الهمُّ الواحد، والمصير الواحد، وهو محاربة الاستعمار، وتحرير البلاد من نِيرِه وناره، ومن ذلِّه وإساره.

لذا كان حريصًا أنْ يثبت بنصاعة بيانه، وفصاحة لسانه، وسطوع برهانه أنَّ الشمال الإفريقي كلَّه عربيٌّ، كما أنَّ كلَّه مسلم.

وأنَّ الإسلام قد أذاب بين الجميع كلَّ الفروق العرقيَّة، ووحَّدهم خلف القرآن الكريم، والرسول العظيم، كما وحَّدهم في الصلاة خلف إمامٍ واحد، يتلون كتابًا واحدًا، ويؤدُّون حركاتٍ واحدة، ويتعرَّفون إلى الله بعبادةٍ واحدة، تُفتتح بالتكبير، وتنتهي بالتسليم.

تحدَّث الشيخ عن وَحدة الشمال الإفريقي بلسانٍ صادق، وبيان دافق وبرهان ناطق، يقيم الحُجَّة على الخَصْم، ويخرس لسانه فلا يتكلَّم، ويُفحمه فلا يجادل، تقرأ للشيخ مقالًا في «البصائر»، تحت عنوان «عروبة الشمال الإفريقي» يقول فيه: «عروبة الشمال الإفريقي بجميع أجزائه طبيعيَّة، كيفما كانت الأصول الَّتي انحدرت منها الدماء، والينابيع الَّتي انفجرت منها الأخلاق والخصائص، والنواحي الَّتي جاءت منها العادات والتقاليد، وهي أثبت أساسًا، وأقدم عهدًا، وأصفى عنصرًا من إنكليزيَّة الإنكليز، وألمانيَّة الألمان.

QaradawiBooks.com

قضت العروبة بقوَّتها ورُوحانيَّتها وأدبها، وسموِّ خصائصها، وامتداد عروقها، في الأكرمين الأُول من نبات الصحارى، وبناة الحضارات فيها؛ على بربريَّة كانت منتشرة بهذا الشمال، وبقايا آريَّة كانت منتشرة فيه. وفعل الزمن الطويل فعله، حتَّى نسي الناس ونسي التاريخ الحديث أنَّ هنا جنسًا غير عربي، وضرب الإسلام بيُسره ولطف مداخله، وملاءمة عقائده للفِطَر، وعبادته للأرواح، وآدابه للنفوس، وأحكامه للمصالح؛ على كلِّ عرق ينبض بحنين إلى أصل، وعلى كل صوت يهتف بذكرى إلى ماضٍ بعيد. وزاد العروبة تثبيتًا وتمكينًا في هذا الشمال هذه الأبجديَّة العربيَّة الشائعة الَّتي حفظت أصول الدين، وحافظت على متون اللغة، ودوَّنت الآداب والشرائع، وكتبت التاريخ، وسجَّلت الأحكام والحقوق، وفتحت الباب إلى العلم، وكانت السبيل إلى الحضارة.

كلُّ هذه العوامل صيَّرت هذا الشمال عربيًّا قارَّ العروبة على الأسس الثابتة: من دين عربي، ولغة عربيَّة، وكتابة عربيَّة، وآداب عربيَّة، ومنازع عربيَّة، وتشريع عربي.

وجاء التاريخ ـ وهو الحكم في مثل هذا ـ فشهد وأدَّى، وجاءت الجغرافيا الطبيعيَّة فوصلت هذا الشمال بمنابت العروبة من جزيرة العرب، وجاء الزمن بثلاثة عشر قرنًا، تشهد سنُوها وأيامُها بأنَّها فرغت من عملها، وتمَّ التمام»[1].

ويعود إلى الموضوع في خطابه التاريخي للوفود العربيَّة والإسلاميَّة للأمم المتَّحِدة في باريس فيقول: «وإنَّ هذا الشمال الإفريقي كلٌّ لا يتجزَّأ، تربط بين أجزائه دماء الأجداد، ولسان العرب،

(١) جريدة البصائر، العدد (١٥٠)، ١٩٥١م.

QaradawiBooks.com

ودين الإسلام، وسواحل البحر في الشمال، وحبال الرمال في الصحاري، وسلاسل الأطلس الأشمُّ في الوسط، واتِّحاد الماء والهواء والغذاء، وإنَّها لخصائص تجمع الأوطان المتباينة، فكيف لا تجمع الوطن الواحد؟

إنَّ تفرُّق هذه الأجزاء لم يأتِ من طبيعتها، وإنَّما جاء من طبائعها الدخيلة، ومن تأثراتنا الغريبة بالدخلاء، وإنَّني متفائل بأنَّ هذه الليلة ستكون فاتحة لعهد جديد، واتِّحاد عتيد، ونور من الرحمة والإخاء، ينتظم المغارب في سِلْك. إنني متفائل بما يتفاءل به السَّارُون المُدْلِجون من انبلاج الفجر، فعسى أنْ يتحقَّق هذا التفاؤل، فتكون هذه الليلة أوَّل خيط في نسيج الوحدة الإفريقية، الَّتي هي آخر أمل للمتفائلين مثلي. وإنَّ العنوان الدالَّ على ما وراءه هو: اجتماع جميع حركات الشمال الإفريقي في هذا المحفل الزاهر، وإنَّ البشير بتحقق هذا الأمل هو امتزاجنا بإخواننا الشرقيِّين حول هذه الموائد، ومن بركاتهم أنْ تجتمع حركاتنا كلُّها في صعيدٍ واحد، وكلُّها لسانٌ يُعبِّر، وقلبٌ يُفَكِّر، وآذانٌ تسمع، وإنا لنرجو أنْ تكون قلوبنا غدًا غير قلوبنا بالأمس، وأنْ نفيء إلى الحقِّ الَّذي أمر الله بالفيأة إليه، وإنَّ الله لا يغير ما بقومٍ حتَّى يغيِّروا ما بأنفسهم»[1].

توحيد العرب:

وبعد وحدة الشمال الإفريقي أو المغرب العربي: الجار ذي القربى، يسعى إلى الجار الجُنُب، وهم: بقيَّة العرب في المشرق، فيدعو إلى وَحدة أمَّة العرب جمعاء، من محيطها إلى خليجها.

(١) جريدة البصائر، العدد (١٨٣) السنة الخامسة، السلسلة الثانية، ١٨ شباط (فبراير) ١٩٥٢م.

QaradawiBooks.com

توحيد أمة الإسلام:

وهو حين يدعو إلى وحدة الجزائر، فوَحدة المغرب العربي، فوحدة العرب: ينتهي إلى الوحدة الكبرى لأُمَّة الإســلام كلِّها، من المحيط إلى المحيط، من جاكرتا إلى مراكش.

وطالما كتب الإبراهيمي يستصرخ المسلمين ليجتمع شملهم، ويتَّحد صفهم، وينعى عليهم تفرُّقَهم، ودينهم يوجب عليهم أنْ يجتمعوا. وينكر عليهم تقاطعهم، ومصلحتهم تفرض عليهم أنْ يتواصلوا. وقد كتب كلمة قويَّة في «البصائر» تحت عنــوان «أرحام تتعاطف» جاء فيها: «طالما نعَيْنا على المســلمين خصوصًا، وعلى الشــرقيِّين عمومًا، هذا التقاطع الَّذي شــتَّت شــملهم، وفرَّق جماعتهم، وصيَّرهم لقمةً ســائغة للمستعمرين، وطالما شرحنا للمسلمين أسرار التواصل والتراحم والتقارب؛ الكامنة في دينهم، وأقمنا لهم الأدلَّة، وضربنا لهم الأمثال، وسقنا المثُلات، وجلونا العِبَر؛ وكانت نُذُر الشــرِّ تتوالى، فيتمارَوْن بها، وصيحات الضحايا منهم تتعالى، فيصمُّون عنها، والزمن سائر، والفلك دائر، وهم في غفلة ساهون.

دعوناهم إلى الجامعة الواســعة الَّتي لا تضيــق بنزيل، وهي جامعة الإســلام؛ إلى الرُّوحانيَّة الخالصة الَّتي لا تشابُ بدخيل، وهي روحانية الشــرق. وحذرناهم من هذه الأفاحيص الضيقة، والوطنيات المحدودة، الَّتي هي منبع شقائهم، ومبعث بلائهم، وبيَّنَّا لهم أنَّها دسيسة استعمارية، زيَّنها لهم سماسرة الغرب، وعلماؤه وأدلَّاؤه، وغايتهم منها التفريق، ثمَّ التمزيق، ثمَّ القضم، ثمَّ الهضم، وأنَّ الاستعمار بهذه الدسيسة وأشباهها يفسد فطرة الله فيهم، وينقض دين الله عندهم، ففطرة الله تُلهم نصر الأخ لأخيه، وحماية الجار لجاره، ودين الله يوجب حقوق الأخوَّة، ويدعو إلى

QaradawiBooks.com

إيثار الجار والإحسان إليه. وهو بهذا يُعَمِّم التناصر، ويُقيم في الأرض شرعة التعاون، فما من جارٍ إلَّا له جارٌ، والنَّاس كلُّهم متجاورون، جوار الدار للدار، فجوار القرية للقرية، فجوار المدينة للمدينة، فجوار الوطن للوطن، فإذا أخذوا بهذه الشرعة وأقاموا حدودها، عمَّ التناصرُ والتعاون، وسُدَّت المنافذ على المتغيِّرين، وعلى المفسدين في الأرض»[1].

داؤنا الانقسام ودواؤنا الوحدة:

ويذكر الشيخ الإبراهيمي في خطابه الَّذي ألقاه في باريس أمام الوفود العربيَّة الإسلاميَّة في الأمم المتحدة هذه الكلمات القوية المزلزلة والمعبِّرة عن داء الفرقة ودواء الوحدة بقلمه البليغ المبدع: أيُّها الإخوان: «إنَّ النقطة الَّتي ابتدأ منها بلاؤنا وشقاؤنا، هي أنَّهم أرادونا على الانقسام، وزيَّنوه لنا كما يزيِّن الشيطان للإنسان سوء عمله، فأطعناهم وانقسمنا، فوسَّعوا شُقَّة الانقسام بيننا بأموالهم وأعمالهم وآرائهم وعلومهم، ولم يتركوا أداة من أدوات التقسيم إلَّا حشدوها في هذا السبيل، ولم يغفلوا الأستاذ والكاتب والراهب والمرأة والتاجر والسمسار، حتَّى بلغوا الغاية في تقسيمنا شِيَعًا ودُوَلًا وممالك، كما توزَّع قطعة الأرض الكبيرة الصالحة، إلى قطع صغيرة، لا تصلح واحدة منها، ولا تكفي، ثمَّ عمدوا إلى خيرات الأرض، فاحتكروها لأنفسهم، واستخرجوها بعقولهم المدبِّرة، وأيدينا المسخَّرة، فكان لهم منها حظ العقل، ولنا منها حظُّ اليد، ولو أنَّنا تعاسرنا عليهم من أوَّل يوم في تقسيمنا، ولُذْنا بكعبة الوَحْدة نطوف بها، ونلتزم أركانها؛ لما نالوا منَّا نَيْلًا، ولما وصلنا إلى هذه الحالة.

(١) جريدة البصائر، العدد (١٤٨)، ١٩٥١م.

QaradawiBooks.com

أمَّا وقد بلغوا من تقسيمنا ما يريدون، وأصبحنا في درجة من الضعف المادِّي والضعف العقلي نعتقد فيها: أنَّ الله خلقنا خِلْقة الأرنب، وخلقهم خِلْقة الأسـد، وجفَّ القلم، ولا تبديل لخلق الله؛ فأوَّل واجبٍ علينا، بل أوَّل نقطة يجب أنْ نبتدئ منها السير، هي أن نَكْفُر بهذا الانقسام، ونُكَفِّر عنه بضده، وهو الوحدة الشاملة لجميع الأجزاء.

وكيف يكون ذلك، وقد بُنيت على ذلك التقسيم أوضاع جديدة، وممالك وملوك وحـدود، وإنَّ تغييـر الممالك لصعـب، وإنَّ فطام الملوك عن لذَّة الملك لأصعب منه؟ فلنلتمس مفتاح قضيَّتنا من بين هذا الرُّكام مـن الأدوات البالية، ولنعتصمْ بالأمر الميسـور، وهو أنْ نوحِّد التعليم ومناهجه، والتجـارة وأوضاعها، ولنطمسْ هذه الحدود الفاصلة بين أجزاء الوطن الواحد، وليرتفقْ بعضنا ببعضنا، فيما يزيد فيه بعضنـا على بعضنا، ولنكن يـدًا واحدة علـى الأجنبي، ولنعتبر المعتدي على جزء منَّـا معتديًا على جميع الأجزاء، وعدوَّ العراق هو عدوُّ مُرَّاكـش، ولنذكر من خصال الأمـم ما فعلتـه إيطاليا في ضمِّ أجزائها، وما فعلته ألمانيا، وما فعلته فرنسا، الَّتي لم تَنَمْ لها عين في قضيَّة الألزاس واللورين[1].

ولو أنَّ معتديًا اعتدى على جزء من إنكلترا (وهي كجزيرة العرب)، تداعى الإنكليز من أطراف الأرض لاسترجاعه، فلم لا نكون كذلك؟!

إنَّهم إنْ علموا ذلـك منَّا، وعلموا جِدَّنا فيه، تابوا عن سـيرتهم فينا وأقلعوا، أمَّا من لان للأكل فليس من حقِّه أن يلوم الأَكَلَة.

(١) هو إقليم متنازع عليه بين فرنسا وألمانيا.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

والَّــذي رُوحي بيــده، ما يســرني أنَّ للعرب ثمانــي دول، ولا أنَّ للمسلمين عشــرين دولة، ما داموا على هذه الحالة، وإنَّما يسرُّني ويُثْلِج صدري؛ أنْ يكون المسلمون كلُّهم شــعبًا واحدًا بحكومةٍ واحدة، وعلى عقيدةٍ في الحياة واحدة، وعلى اتِّجاهٍ إلى الســعادة واحد، فإذا وُجد هذا الشعب، لم يبقَ لهؤلاء الأقوياء إلَّا أنْ يقولوا: إنَّ في الشرق قومًا جبَّارين، وإنَّه لم يبقَ لنا بينَهم موضع.

إنَّ القوم اســتضعفونا، ففرَّقونــا، فأكلونا لقمة لقمــة. فأوجِدوا هذا الشــعب الموحَّد، تَحيوا وتُحيوا العالم به، أوجدوه تَســعدوا وتُسعدوا العالم به.

إنَّ العالم اليوم مريض، وإنَّه يلتمس الشــفاء، فأروه أنَّ في الإسلام شــفاءه، وإنَّه في خصامٍ مُنهِــك، وإنَّه يلتمس الحكم، فأحيُوا الإســلام الصحيح يكنْ حكمًا في مشكلة هذا العصر؛ مشكلة الغنى والفقر.

تكتَّلوا ففي استطاعتكم أنْ تتكتَّلوا، تكتلوا يُمدَّكم العصر برُوحه. إنَّه عصر التكتُّل، وإن الأقوياء لم تُغْنِ عنهم قوَّتُهم شيئًا، فأصبحوا يلتمسون أنواعًا من التكتُّل مع القريب، ومع الغريب، فهذه إنكلترا تتكتَّل، وهذه أمريكا، وهذه روسيا، فكيف لا يتكتَّل الضعفاء؟!»[1] انتهى.

قال هذا الشيخ قبل أكثر من نصف قرن (سنة ١٩٥٢م) فكيف لو عاش إلى عصرنا، ورأى ما فيه من تكتُّلات واتِّحادات؟! مثل الاتِّحاد الأوربي، الَّذي أمســى حقيقة واقعة، بعد حروب بين الأوربيِّين بعضهم وبعض، استمرَّت قرونًا، آخرها الحربان العالميَّتان، اللتان سقط فيهما من القتلى والضحايا بالملايين.

(١) جريدة البصائر، العدد (١٨٣)، السنة الخامسة، السلسلة الثانية، ١٨ شباط (فبراير) ١٩٥٢م.

QaradawiBooks.com

بدء تفرُّق المسلمين في الدين:

ويتحدَّث الشيخ الإبراهيمي عن بدء ظهور التفرُّق في المسلمين حديثًا ينبئ عن وعي بتاريخ الأُمَّة الفكري فيقول: «أوَّل ما نشأ في المجتمع الإسلامي من جراثيم التفرق في الدين: الكلام في القدر، والخوض في الصفات. وقارَنَ ذلك حدوث الخلاف في الخلافة: فهل هي شعبة من الدين تفتقر إلى تنصيص من الشارع أو هي مصلحة دنيوية ترجع إلى اختيار أهل الرأي من الأمَّة؟ وقد سبق الخلاف العملي الخلاف العلمي في هذه المسألة. وهي المعترك الأوَّل الَّذي اشتجرت فيه الآراء حتَّى تطرَّفت، بعد أن اشتجرت فيه الرماح حتَّى تقصَّفت. كما أنَّها أوَّل مسألة امتزجت فيها الأنظار الدينيَّة بالأنظار الدُّنيويَّة (أو السياسيَّة) كما يقولون. وفي هذا المعترك جرثومة التعصُّب الخبيثة.

ثم توسَّعت الفتوحات وبسط الإسلام ظلَّه على كثيرٍ من الممالك الَّتي كانت لها أثارة من عمران وشيء من سلطان. ودانت له كثيرٌ من الأمم.

وفي كلِّ أُمَّة طوائف دخلت الإسلام، وهي تحمل أوزارًا من بقايا ماضيها. وما كادت هذه المجموعات البشريَّة تمتزج، ويفعل الإسلام فيها فعله، حتَّى ظهرت عليها أعراض التفرُّق.

فظهر أصحاب المقالات في العقائد، وأحدثوا بدعة «التأويل»، الَّذي هو في الحقيقة تحريفٌ مسمًّى بغير اسمه.

وتوفَّرت الدواعي لظهور المذاهب الفقهيَّة، والمذاهب الكلاميَّة، والمذاهب الصوفيَّة، في أزمنة متقاربة، وكان لترجمة الفلسفة اليونانيَّة، والحكمة الفارسيَّة والهنديَّة: أثر قوي في تعدُّد المذاهب الكلاميَّة والصوفيَّة، بما أتت به الأولى من بحث في الإلٰهيَّات على الطريقة

QaradawiBooks.com

العقليَّة الصِّرْفة، وبما غذت به المتكلِّمين من الأنظار المختلفة، وأمدَّتهم به من طرائق الجدل وقوانينه. وهذا هو مبدأ التفرُّق الحقيقي في الدين؛ لأنَّ المتكلِّمين يزعمون أنَّ علومهم هي أساس الإسلام. والصوفيَّة يقولون: إنَّ علومهم هي لباب الشريعة وحقيقتها!»[1].

ظهور المذاهب الفقهيَّة والتعصُّب لها:

«أمَّا المذاهب الفقهيَّة، فحدوثها ضروري وطبيعي ما دامت السُّنَّة لم تُجمع، وبعد جمعها لم تكن وافية بالتنصيص على الوقائع الجزئيَّة. ومتونها وأسانيدها بعدُ خاضعة للتزكية والتجريح؛ لأنَّها لم تُنْقل بطريق التواتر. وما دامت مدارك المجتهدين الَّذين هم المرجع في هذا الباب متفاوتة بالقوَّة والضعف في الاستنباط ووجوه القياس وعِلَله، وما دامت الوقائع الَّتي تناط بها الأحكام لا تنضبط.

وقد استحدث العمران أنواعًا جديدة من المعاملات الدُّنيويَّة، لا عهد للإسلام الفطري بها، وصورًا شتى من المعايش ووجوه الكسب لم تكن معروفة. فمن سماحة التشريع الإسلامي ومرونته، أنْ تُتناول هذه المستحدثات الجديدة بأنظار جديدة، وتستنبط من أصوله أحكامٌ لفروعها. وكل هذا لا حرج فيه وليس داخلًا فيما نشكوه، بل نحن أوَّل من يقدر قدر تلك الأنظار الصائبة، والمدارك الراقية، ويقيمها دليلًا على اتساع التشريع الإسلامي لمصالح الناس، وصلاحيته لجميع الأزمنة، وينكر على مَنْ سدَّ هذا الباب على الأمَّة، فزهَّدها في استجماع وسائله. ونحن أوَّل من يقدر قدر أولئك الأئمَّة الَّذين هم مفاخر الإسلام.

(١) انظر: آثار البشير الإبراهيمي (١٦٤/١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وهي في حدِّ ذاتها ليست هي الَّتي فرَّقت المسلمين، وليس أصحابها هم الَّذين ألزموا الناس بها، أو فرضوا على الأُمَّة تقليدهم، فحاشاهم من هذا، بل نصحوا وبيَّنوا، وبذلوا الجهد في الإبلاغ، وحكَّموا الدليل ما وجدوا إلى ذلك السبيل، وأتوا بالغرائب في باب الاستنباط والتعليل، والتفريع والتأصيل، ولهم في باب استخراج علل الأحكام، وبناء الفروع على الأصول، وجمع الأشباه بالأشباه، والاحتياط ومراعاة المصالح؛ ما فاقوا به المتشرِّعين من جميع الأمم.

وإنَّما الَّذي نعُدُّه في أسباب تفرق المسلمين هو هذه العصبيَّة العمياء، الَّتي حدثت بعدها للمذاهب، والتي نعتقد أنَّهم لو بُعثوا من جديد إلى هذا العالم، لأنكروها على أتباعهم ومقلِّديهم، وتبرؤوا إلى الله منهم ومنها؛ لأنَّها ليست من الدين الَّذي اؤتمنوا عليه، ولا من العلم الَّذي وسَّعوا دائرته.

وقد طغت شرور العصبيَّة للمذاهب الفقهيَّة في جميع الأقطار الإسلاميَّة، وكان لها أسوأ الأثر في تفريق كلمة المسلمين. وإنَّ في وجه التاريخ الإسلامي منها لنُدُوبًا.

أمَّا آثارها في العلوم الإسلاميَّة، فإنَّها لم تمدَّها إلَّا بنوعٍ سخيفٍ من الجدل المُكابِر، لا يُسمن ولا يُغني من جوع. ولا عاصمَ من شرور هذه العصبيَّة إلَّا صرف الناشئة إلى تعليمٍ فقهيٍّ، يستند على الاستقلال في الاستدلال، وإعدادها لبلوغ مراتب الكمال، وعدم التحجير عليها في استخدام مواهبها إلى أقصى حدٍّ»[1].

(١) آثار البشير الإبراهيمي (١٦٦/١).

QaradawiBooks.com

المذاهب الكلاميَّة وخطرها:

وأمَّا المذاهب الكلاميَّة، فلم يكن أثرها بالقليل في تفرُّق المسلمين وتمزُّق شملهم. ولكنَّها لما كان موضوعها البحث في وجود الله وإثبات صفاته، وما يجب له من كمال، وما يستحيل عليه من نقص، كل ذلك من طريق العقل، كانت دائرتها محدودة، وكان التعمُّق فيها من شأن الخواصِّ. وقعد بالعامة عن الدخول في معتركها: إحساسها بالتقصير في أدواته؛ من جدلٍ وعقليَّات يُحتاج إليها في مقامات المناظرة والحجاج. فليس علم الكلام كعلم التصوُّف: مطيَّة ذلولًا يندفع لركوبها العاجز والحازم.

فالتصوُّف شيءٌ غامض، يُسعى إليه بوسائل غامضة. ويسهل على كلِّ واحدٍ ادِّعاؤه، والتلبيس به. فإن خاف مدَّعيه الفضيحة؛ لم يعدم سلاحًا من الجمجمة والرمز، وتسمية الأشياء بغير أسمائها. ثمَّ الفزع إلى لزوم السمت، والتدرُّع بالصمت، والإعراض عن الخلق، والانقطاع والهروب منهم، ما دام هذا كله معدودًا في التصوف، وداخلًا في حدوده.

ولا كذلك علم الكلام، الَّذي يفتقر إلى عقل نيِّر، وقريحة وقَّادة، وذكاء نافذ. ويحتاج منتحله إلى براعة ولَسَنٍ ومِرَانٍ على المنطق ومقدماته ونتائجه وأقيسته وأشكاله.

ولم كل هذه العُدَد؟ كل هذه العُدَد للمناظرات وما تستلزمه من إيراد ودفع وإفحام وإلزام. وأين العامَّة من هذا كله؟

لذلك لم يكن لها من حظ في هذا العلم؛ إلَّا معرفة أسماء بعض الفِرَق، والانتصار لها، انتصارًا تقليديًّا، ولذلك كانت آثار التفريق الناشئة عن هذه المذاهب الكلاميَّة قاصرة على طبقات مخصوصة، ولم تتغلغل في العامَّة، كما تغلغلت آثار التصوف.

QaradawiBooks.com

وقد انقرضت تلك الفِرَق، وانقرض بانقراضها سببٌ جوهري من أسباب التفرُّق، بل مات بموتها شاغل، طالما شغل طائفة من خِيرة علماء المسلمين ببعضهم، وجعل بأسهم بينهم شديدًا، وألهاهم بما يضرُّ عمَّا ينفع.

تلاشت تلك الفرق، ولم تبق إلَّا أخبار معاركها الجدلية في كتب التاريخ، وإلا آراؤها المدوَّنة في كتبها، فتنة للضعفاء، وتبصرة للحصفاء. ولم يبق من تلك الأسماء الَّتي كوَّنت قاموسًا في الأنساب إلَّا اسمان يدوران في أفواه العامَّة وأشباه العامة، ويستعملونهما في أغراض عاميَّة، وهما: أهل السُّنَّة والمعتزلة»[1].

تخلُّف دراسة علم التوحيد:

«ومن المحزن أنَّ دراسة علم التوحيد حتَّى في كُلِّيَاتنا «الراقية» كالأزهر والزيتونة لا تزال جاريةً على تلك الطرائق، وفي تلك الكتب. ولا تزال تُقرَّر فيها تلك الآراء، ولا تزال تُذكر فيها أسماء تلك الفرق الَّتي لم يبقَ لها وجود. ويستعرض سيدنا المدرِّس تلك الآراء، ثمَّ يدحضها، ويُقيمها ثمَّ يَنقضها. وتُقطع أوقات الطلبة المساكين في ذلك. ويا ضَيْعةَ الأعمار!

أمَّا الشبهات الَّتي يوردها كلَّ يوم ملاحدة العصر ومبشرو المسيحية على الإسلام، ويفتنون بها العلماء، فضلًا عن العوامِّ، فإنَّ كلياتنا (العلميَّة الدينيَّة) ومدرِّسيها لا يُعيرونها أدنى اهتمام، ولا يعمرون بها وقت الطلبة. فيا لَلفضيحة.

وأمَّا المذاهب الصوفيَّة، فهي أبعد أثرًا في تشويه حقائق الدِّين، وأشدُّ منافاةً لرُوحه، وأقوى تأثيرًا في تفريق كلمة المسلمين؛ لأنَّها ترجع في

(١) آثار البشير الإبراهيمي (١٦٦/١).

QaradawiBooks.com

أصلها إلى نزعة غامضة مبهمة، تستَّرت في أوَّل أمرها بالانقطاع للعبادة، والتجرُّد من الأسباب، والعزوف عن اللَّذات الجسدية، والتظاهر بالخصوصيَّة، وكانت تأخذ منتحليها بشيء من مظاهر المسيحية، وهو التسليم المطلق، وشيء من مظاهر البَرْهمية، وهو تعذيب الجسد وإرهاقه، توصُّلًا إلى كمال الرُّوح، زعموا! وأين هذا كله من رُوح الإسلام وهَدْي الإسلام؟ ولم يتبيَّن الناس خيرها من شرِّها، لما كان يسودها من التكتُّم والاحتراس، حتَّى جرت على ألسنة بعض مُنتحليها كلمات كانت ترجمة لبعض ما تحمل من أوزار. فراب أئمَّةَ الدين أمرُها. وانفتحت أعين حرَّاس الشريعة، فوقفوا لها بالمرصاد، فلاذ منتحلوها بفروق مبتدعة، يريدون أنْ يثبتوا بها خصوصيَّتهم كالظاهر والباطن، والحقيقة والشريعة، إلى ألفاظ أخرى من هذا، لا تخرج في فحواها عن جعل الدين الواحد دينَيْن.

وما كاد السيف الَّذي سُلَّ على الحلَّاج وصرعى مَخْرقته يُغمد، ويوقن القوم أنَّهم أصبحوا بمنجاة من فتكاته؛ حتَّى أجمعوا أمرهم، وأبدوا للناس بعض مكنونات أسرارهم، ملفوفة في أغشيةٍ جميلةٍ من الألفاظ، ومحفوفةٍ بظواهر مقبولةٍ من الأعمال. وحاولوا أنْ يصلوا نِحْلتهم تلك بعُجَرها وبُجَرها بصاحب الشريعة، أو بأحد أصحابه فلم يفلحوا، وافتضحت حيلتهم، وانقطع الحبل من أيديهم، فرجعوا إلى ادعاء الكشف، وخرق الحُجُب، والاطلاع على ما وراء الحسِّ إلى آخر تلك «القائمة»، الَّتي لا زلت تسمعها حتَّى من أفواه العامة، وتجدها في معتقداتهم»[1].

* * *

(١) آثار البشير الإبراهيمي (١٦٨/١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

٣

التوعية والتربية: طريقًا ومنهاجًا

اعتمد الشيخ الإبراهيمي في منهجه الإصلاحي على ركيزتَيْن أساسيتَيْن؛ هما: التوعية، والتربية. وهما في الواقع ركيزتا جمعيَّة العلماء، فما كان للشيخ أنْ يحيد عنهما. وهو الأمين على مسيرة الجمعيَّة والمُضِيِّ بها قُدُمًا في طريقها الَّذي رسمته من أوَّل يوم.

أمَّا التوعية، فهي لجماهير الشعب، الَّذي هو هدف الإصلاح ووسيلته معًا.

وأمَّا التربية، فهي للطلائع الَّتي يُنتظر منها أنْ تقود معركة التحرير، ومعركة البناء والتقدُّم فيما بعد.

التوعية:

وكانت التوعية في نظر الشيخ ـ كما هي في نظر جمعيَّة الإصلاح منذ نشأت ـ تقوم على فهم الدِّين فهمًا صحيحًا، بحيث تنشئ مسلمًا سليم العقيدة، صحيح العبادة، مستقيم السلوك، عزيز النفس، قوي الجسم، حُرَّ الإرادة، مستنير العقل، محبًّا للخير، غيورًا على أهله ووطنه ودِينِه، عالمًا بمن هو صديقه، ومن هو عدوُّه.

وكان إنشاء هذا الجيل هو قرَّة عينِ الشَّيْخ وإخوانه، وكان هو مَعْقد الأمل في تحقيق النصر المنشود على الاستعمار الفرنسي، وما خلَّفه من

QaradawiBooks.com

آثار في الأنفس والعقول والحياة، وكان الاستعمار الفرنسيُّ اللعين يعرف تمام المعرفة: أنَّ هذا الجيـــل هو الخطر الحقيقي على وجوده وبقائه في الجزائر، ولذا كان له بالمرصاد، وكان يعوق طريقه بكل ما يمكنه، ولكن الإبراهيمي كان ماضيًا في سبيله، مستعينًا بربِّه، مشدودَ الأزْر بإخوانه من العلماء، وبشعبه الجزائري الأبيِّ.

وكانت جولات الشـــيخ في طول البلاد وعرضها، ودروسه وخطبه ومحاضراته، وأحاديثه الخاصَّة والعامَّـــة، ومقالاته في «البصائر»: كلها تدور حول إيقاظ الوعي الدِّيني الحقيقي، وتنقية الفكر الإســـلامي من الخرافات والأباطيل والبدع، الَّتي شوَّهت وجه الدين الجميل، وأضافت إليه من الزوائد والشوائب ما كدَّر صفاءه، ولوَّث نقاءه، ومن المُحْدَثات ما عسَّر الدين الَّذي أراد الله به اليُسْـــر ولم يرد به العسر، وما جعل فيه من حرج.

وكل عمل في هذا السبيل يهدم لبنة من لبنات الاستعمار المخرِّب، ويضع لبنة في بنيان الجزائر العربيَّة المسلمة، جزائر الغد، ويغرس الآمال في أنفس الجزائريِّين، بقدر ما يغرس المخاوف في قلوب الفرنسيِّين.

أشنع أعمال فرنسا في الجزائر:

ويتحدَّث العلَّامة الإبراهيمي عن التخريب الهائل الَّذي مارسته فرنسا في الجزائر منذ احتلالها، فيقول: «كانت الجزائر قبل احتلال الفرنسيِّين لها في سنة (١٨٣٠م) دولة مستقلَّة غنيَّة، تملك خصائص الدولة في ذلك العصر، وأهمُّها العلم بالدِّين والدنيا، وفيها من الأوقاف الإسلاميَّة الدارَّة على العلم والدين ووجوه البرِّ، ما لا يوجد مثله في قُطْر إســـلامي آخر، ومنذ تغلَّب عليها الاســـتعمار الفريد في الخُبْث، وهو يعمل جاهدًا على

QaradawiBooks.com

قتل شخصيتها بالقضاء على الدين واللغة العربيَّة، وكان أوَّل عمل قام به هو مصادرة الأوقاف الإسلاميَّة والمعاهد التابعة لها من مساجد ومدارس وزوايا، وتحويلها إلى كنائس وثُكْنات وإصطبلات وميادين ومرافق عامَّة، ثمَّ أصـــدر قانونًا لا نعرف له نظيـــرًا في تاريخ البشـــريَّة العاقلة، يقضي باعتبار اللغة العربيَّة لغة أجنبية في وطنها وبيـــن أهلها، يتوقَّف تعليمها على إذنٍ خاصٍّ وشـــروط ثقيلة، وزادت تلك الشـــروط على الأيام ثِقَلًا وعَنَتًا، حتَّـــى أصبحت في الســـنوات الأخيرة لا تُطـــاق، وأصبح معلم العربيَّة يقف في قفص الاتهام مع اللصوص والســـفَّاكين، وتجري عليه العقوبات مثلهم بالسجن والتغريم والتعذيب.

ثم دأب الاستعمار (من مائة ونيِّف وعشرين سنة) على طمس كلِّ أثر للإســـلام والعربيَّة، وقطع كل صلة بينهما وبين الشـــرق، ليتم له مسخ الأمَّة الجزائريَّة، وإدماجها في الأمَّة الفرنسيَّة، ولكن المناعة الطبيعيَّة في هذه الأمَّة، وتصلُّبها في المحافظة على التراث الإسلامي المقدَّس، وعلى خصائصها الشريفة: دفع عنها ذلك البلاء، وأنقذها من ذلك المصير»[1].

توعية الشعب وتنويره:

ويشرح الشـــيخ ما تقوم به جمعيَّة العلماء من تنوير وتوعية للشعب الجزائـــري، وتحرير عقله ووجدانـــه وإرادته من الأوهـــام والضلالات، وشغْله بمعالي الأمور عن سفاسفها، ووصله بالحقِّ بدلًا من ركضه وراء الباطل، عن طريق المساجد والأندية وغيرها. فيتحدَّث عن مبدأ جمعيَّة العلماء وغايتها فيقول:

(١) في المذكرة التي قدَّمها مكتب جمعيـــة العلماء في القاهرة إلى مجلـــس الجامعة العربية، ونشرت في صحيفة منبر الشرق، وصحيفة الدعوة، آب (أغسطس) ١٩٥٤م، القاهرة.

QaradawiBooks.com

غاية جمعيَّة العلماء تحرير الشعب الجزائري:

«مبدأ جمعيَّة العلماء يرمي إلى غاية جليلة، فالمبدأ هو العلم، والغاية هي تحرير الشعب الجزائري، والتحرير في نظرها قسمان: تحرير العقول والأرواح، وتحرير الأبدان والأوطان. والأول أصل للثاني، فإذا لم تتحرَّر العقول والأرواح من الأوهام في الديـــن وفي الدنيا، كان تحرير الأبدان من العبوديَّة والأوطان من الاحتلال متعذِّرًا أو متعسِّـــرًا، حتَّى إذا تمَّ منه شيء اليوم، ضاع غدًا؛ لأنَّه بناء على غير أساس، والمتوهِّم ليس له أمل، فلا يُرجى منه عمل.

لذلك بدأت جمعيَّة العلماء ـ من أوَّل يوم نشـــأتها ـ بتحرير العقول والأرواح، تمهيدًا للتحريـــر النهائي، فوضعت برنامجًـــا محكمًا، لوعظ الكبار وإرشـــادهم بالدروس والمحاضرات، حتَّى بلغت من ذلك أقصى غاية من الجهد، وأقصى غايـــة من النتائج، وأصبح الشـــعب في جملته صافي الفكر، مستقل العقل، متوهِّج الشعور، مشرق الروح، فاهمًا للحياة، واسع الأمل فيها، عاملًا للحرية والاستقلال، مؤمنًا بماضيه، عاملًا على ربط الحاضر بالماضي، ووصله بالوطن العربي الأكبر، متبصِّرًا في وزن رجاله، لا ينطلي عليه غش الغشَّاشـــين ولا تدجيل الدجَّالين. ومعلوم أنَّ هذه المعاني لا تدخل النفوس دفعة واحدة، وإنَّما تكمل بالتدرُّج.

والذي وصل إليه الشـــعب الجزائري من هذا هو نتيجة نيِّف وعشرين سنة من أعمال جدية متواصلة، ولكنَّه لا يتم عادة في أقل من خمسين سنة».

أعمال جمعيَّة العلماء في التعليم العربي والتوعية:

ويعدِّد الشـــيخ ما قامـــت به جمعيَّـــة العلماء من أعمـــال مجيدة للشعب، فيقول:

QaradawiBooks.com

«**أولًا**: زادت الجمعيَّة على هذا العمل العامِّ آخَر خاصًّا، وهو العمل على تخريج جيل جديد، يتلقَّى هـذه المعاني في الصِّغَر، ويُثبِّتها بالعلم الصحيح، لتحارب الاستعمار بسلاح من نوع سلاحه، وهو العلم، فأسَّست في هذين العَقْدين من السنين نحو مائة وخمسين من المدارس الابتدائية للعربيَّة والدين، وشيَّدتها بمال الأمَّة، وصيَّرتها مِلْكًا للأمة، وهي تضم اليوم ما يقرب من خمسين ألف تلميذ، من حملة الشهادات الابتدائية من مدارس الجمعيَّة. (وسنتحدث بتفصيل عن هذا الأمر عند حديثنا عن عنصر التربية).

ثانيًا: بما أنَّ المساجد الَّتي هي تراث الأجداد، صادرتها الحكومة الفرنسيَّة، وصادرت أوقافها من يوم الاحتلال، فأحالت بعضها كنائس، وبعضها مرافق عامَّة، وهدمت كثيرًا منها لتوسيع الشوارع والحدائق، واحتفظت بالباقي لتتخذ منه حِبَالة تجُرُّ أشباه الموظفين الدينيين، وما زالت إلى الآن هي الَّتي تعيِّن الأئمَّة والخطباء والمؤذِّنين والقَوَمة، ولكنَّها تستخدمهم في الجاسوسية والمخابرات، وتُجري عليهم المرتبات من الخزينة العامَّة، لذلك التفتت الجمعيَّة إلى هذه الناحية الحيوية، وشيَّدت بمال الأمَّة نحو سبعين مسجدًا في أنحاء القطر، لأداء الشعائر، وإلقاء الدروس الدينيَّة، والحكومة الفرنسيَّة تنظر إلى هذه المساجد نظرتها إلى الحصون المسلَّحة.

ثالثًا: في الجزائر مئات الآلاف من الشُّبَّان العرب المسلمين، فاتهم التعليم الدِّيني والعربي، ولا تلقاهم الجمعيَّة في المدارس، ولا في المساجد، والاعتناء بهم واجب، فأنشأت لهم الجمعيَّة عشرات من النوادي المنظَّمة الجذابة، تُلقي عليهم فيها المحاضرات العلميَّة والدينيَّة

QaradawiBooks.com

والاجتماعية، وأدَّت هذه النوادي أكثر مما تؤدِّيه المدارس والمساجد من التربية والتوجيه.

رابعًا: أنشـأت الجمعيَّة للعُمَّال الجزائريِّين في باريس وغيرها من مدن فرنسا عشرات من النوادي، وزوَّدتها بطائفة من الوعَّاظ والمعلِّمين من رجالها، يتعلم فيها أولئك العَمَلة ضروريات دينهم ودنياهم، ويتعلَّم فيها أبناؤهم اللغة العربيَّة تكلُّمًا وكتابة، ويتربَّوْن على الدين والوطنيَّة، وقد استفحل أمر هذه النوادي، وأتت ثمراتها قبل الحرب الأخيرة، ثمَّ قضت عليها الحرب، ثمَّ حاولـت الجمعيَّة تجديدها بعد الحرب، غير أنَّ التكاليف المالية تضاعف واحدها إلـى الآلاف، فكان ذلك وحده سببًا للعجز.

خامسًا: أنقذت الجمعيَّة عشرات الآلاف من أبناء الجزائر من الأُمِّيَّة، بوسـائل دبَّرتها، ونجحت فيها نجاحًا عجيبًا، وإنَّ هـذا العمل من غُرَر أعمالها؛ لأنَّ الأمية تشل الشعوب»[1] اهـ.

الميدان الداخلي أولى بالاهتمام:

كان أمام الشـيخ البشـير ـ ومن قبله الشـيخ ابن باديس ـ ميدانان للكفـاح: ميدان الاسـتعمار الخارجـي، وميدان الاسـتعمار الداخلي، استعمار العقول والنفوس والضمائر بالأوهام والضلالات والبدع، فاختار الشيخان البدء بالميدان الداخلي، فهو أحقُّ وأولى بالاهتمام.

وعلَّل ذلك الشـيخ الإبراهيمي، فقـال: «كانت الحكمـة لاختيارنا الميدان الأوَّل للهجوم، أن موضوع النزاع دينيٌّ، ونحن علماء دين يعترف

(١) نُشرت في صحيفة: منبر الشرق، وصحيفة الدعوة، آب (أغسطس) ١٩٥٤م.

QaradawiBooks.com

لنا بالإمامة العلميَّة حتَّى الاستعمار وأعوانه، ولا يستطيع الاستعمار أنْ ينتصر لأوليائه في نزاع ديني انتصارًا سافرًا، وإنَّما ينتصر لهم بوسائلَ أخرى لا تُؤَثِّر في هدفنا الَّذي نرمي إليه، وهو انتزاع الأمَّة من هؤلاء المستغلين لها باسم الدين، وإنقاذها من جبروتهم، وأنَّنا إذا حررناهم من سلطانهم الوهمي، كانت معنا على الاستعمار الخارجي الحقيقي، ومن لم يكن الشعب معه كان مخذولًا في كل ميدان.

بدأنا هذه الحركة بجنب حركة التعليم الدِّيني العربي، وأطلقنا عليها اسمها الحقيقي، وهو: «الإصلاح الديني»، وهو اسم يُهيِّج أصحاب البدع والضلالات من المسلمين في الدرجة الأولى، ويُهيِّج الاستعمار الخارجي في الدرجة الثانية، فكان من تفاوت التهيُّج فسحة، سرنا فيها خطوات إلى النجاح، وكانت أعمالنا تسير في دائرة ضيقة؛ لأنَّ الاستعداد لظهور جمعيَّة العلماء لم يتمَّ إذ ذلك، وكان مبدأ «العمليَّات» بدروس دينيَّة ومحاضرات.

ورأى المرحوم عبد الحميد بن باديس: أنَّه لا بدَّ من جريدة تظاهر الفكرة وتخدمها، فأنشأ جريدة «المنتقد»، وهي أوَّل جريدة إصلاحية بالشمال الإفريقي، فكانت أرفع صوت، وأفعل وسيلة، لنشر الإصلاح الديني، فارتاع لها الاستعمار الفرنسي، وعطَّلها في مدة قريبة بما يملك من قوانين، فأصدر المرحوم جريدة أخرى باسم «الشهاب»، كانت أسدَّ رماية، وأوسع خُطًا من سابقتها، وسكت عنها الاستعمار، فنقلها صاحبها من جريدة إلى مجلة، طال عمرها بضع عشرة سنة، ورافقت سنوات الإرهاص بجمعيَّة العلماء، فسجَّلت خطوات الحركة، وكانت لها مواقف رائعة في عدَّة ميادين، فخدمت العلم والدين والسياسة، وتردَّد صداها في

QaradawiBooks.com

المغارب الثلاثة، فتركت في كلِّ قطر أثرًا حميدًا في النفوس، وفضحت الاستعمار الفرنسي فضائح لا يُنسى خزيُها.

وبدروس الأستاذ عبد الحميد بن باديس، ومِجَلَّته «الشهاب»، استحقَّ لقب «باني النهضة الجزائريَّة بجميع فروعها»، وأنشأ بعض الإخوان جريدة سمَّاها «الإصلاح»، كانت لها جولات في حرب البِدَع، ولكنَّها لم تُعَمِّر إلَّا قليلًا.

تساوقت الآثار المختلفة إلى غرض واحد، آثار دروس الإسلام الحيَّة من ابن باديس، في نفوس تلاميذه، وقد أصبحوا آلافًا، وآثار دروسه العامَّة في التفسير والأخلاق والاجتماع.

وقد أصبح سامعوها المتأثِّرون بها عشرات الآلاف، وأكثرهم من العامَّة.

وآثارُ الحرب في الأمَّة كلها، وآثار العلماء المصلحين بعد أنْ تكاثر عددهم وتلاحق مددهم، وعاونوا على تنوير الأفكار وتوجيه الأذهان لفهم حقائق الدين والدنيا، وهداية النفوس الضالَّة بإرشاد القرآن وسيرة محمَّد وأصحابه، وتجلية التاريخ الإسلامي.

وتألَّف في ذلك كلِّه حِداءٌ قويٌّ مُطرب، سارت عليه الأمَّة الجزائريَّة عقدًا من السنين، من سنة (١٩٢٠م) إلى سنة (١٩٣٠م)، واستوى في التأثُّر الموافق منها والمخالف.

وأوائل نهضات الأمم تفتقر دائمًا إلى المخض العنيف بالكلام والرأي والجدال والوفاق والخلاف، وذلك المخْض هو الَّذي ينشئ فيها الحياة، ثمَّ يصفِّيها، وهو دليل حياة الشعور فيها»[1].

(١) آثار البشير الإبراهيمي (٥/١٤٣ ـ ١٤٥).

QaradawiBooks.com

التربية:

وكانت التربية في نظر الشيخ ـ وفي نظر الجمعيَّة ـ هي الوسيلة المُثْلى لغرس التعاليم الإسلاميَّة التجديدية ـ ومعها النزعة العُرُوبية والوطنيَّة ـ في عقول الناشئة وفي قلوبهم. ومقاومة تيار «الفرنسة»، الَّذي يعمل منذ احتل الجزائر على أنْ يجرِّدها من هُويتها الإسلاميَّة والعربيَّة. وذلك بفرض الفرنسيَّة لغة وحيدة في التعليم، وإبعاد العربيَّة تمامًا عن هذا المجال. وحذف الدين الإسلامي من مجال التربية والتعليم حذفًا تامًّا. باعتبار أنَّ الدولة «لائكيَّة» (عِلمانيَّة) وأنَّها لا تُعلِّم الدِّين في مدارسها.

فكان المطلوب هنا عملًا مضادًا لما يهدف إليه المستعمر، تقوم التربية فيه على أساس: أنَّ الدين هو الأساس، والعربيَّة هي اللسان.

فإذا كان التعليم الفرنسي السائد يقصد إلى فرنسة الجزائريِّين، فإنَّ التعليم الَّذي قاده من قبل ابن باديس، وقاده من بعده الإبراهيمي، يقصد إلى إعادة «أسلمة» الجزائريِّين و«تعريبهم»، أو إلى إبقاء الإسلام والعروبة عند من بقيا عنده، وكان شعار جمعيَّة العلماء منذ البداية: الإسلام ديننا، العربيَّة لغتنا، الجزائر وطننا!

ولذا كان تركيزهم المستمر والدؤوب على ضرورة «التعليم العربي» الَّذي يجب أنْ تتاح له فرصة بجوار «التعليم الفرنسي» السائد والمهيمن على الساحة كلها.

وكانت مناهج هذا التعليم وكتبه ولغته ومعلِّموه وإدارته والجو المدرسي العام، كلها تصبُّ في هذا الاتجاه.

QaradawiBooks.com

حتى الأناشيد الَّتي تُحفَّظ للطلَّاب تغرس فيهم هذه المعاني، وتنمِّي فيهم هذه المشاعر، مثل النشيد المعروف الَّذي ألفه الإمام ابن باديس[1] نفسه، ويحفظه الجميع:

شَعْبُ الْجَزَائِر مسلم وإلى العروبة ينتسبْ
من قال: حاد عنْ اصْلِهِ، أو قال: مات؛ فقد كذبْ

ومن حسن حظِّ الجزائر: أنَّ الله تعالى وهبها رجلًا مُرَبِّيًا من الطراز الأوَّل، ومنحه من المواهب والملكات ما قاد به كتيبة التربية على بصيرةٍ ووعيٍ بالهدف المنشود، والمنهج المقصود، وأعدَّ له من الرجال ذوي الكفاءة من يُذلِّل بهم الصعاب، ويتخطَّى بهم العِقَاب.

إنَّه الإمام ابن باديس الَّذي كان هديَّة الله للجزائر، كما يتحدَّث عنه الإبراهيمي.

ومن أراد أنْ يعرف أثر التربية والتعليم الَّذي قامت به جمعيَّة العلماء، وبدأها الإمام ابن باديس، فليقرأ ما كتبه الإمام الإبراهيمي في «البصائر»، ونُشر الكثير منه في «آثاره»، الَّتي نشرت بعد وفاته، وإن لم تستوعب كلَّ ما خطَّه قلمُه.

يقول الإبراهيمي في إحدى مقالاته أو دراساته عن جمعيَّة العلماء ومؤسسها: «وعبد الحميد بن باديس باني النهضة وإمامها ومُدَرِّب جيوشها: عالم ديني، ولكنَّه ليس كعلماء الدين الَّذين عرفهم التاريخ الإسلامي في قرونه الأخيرة، جمع الله فيه ما تفرَّق في غيره من علماء

(١) انظر: آثار ابن باديس (٣٣٤/٤)، تحقيق عمار طالبي، نشر دار ومكتبة الشركة الجزائرية، ط١، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

QaradawiBooks.com

الدين في هذا العصر، وأربى عليهم بالبيان الناصع، واللسان المطاوع، والذكاء الخارق، والفكر الولود، والعقل اللمَّاح، والفهم الغوَّاص على دقائق القرآن وأسرار التشريع الاسلامي، والاطِّلاع الواسع على أحوال المسلمين، ومناشئ أمراضهم، وطرق علاجها، والرأي السديد في العلميات والعمليَّات، من فقه الإسلام وأطوار تاريخه، والإلمام الكافي بمعارف العصر، مع التمييز بين ضارِّها ونافعها، مع أنه لا يُحسن لغة من لغاتها غير العربيَّة، وكان التضلُّع في العلوم الدينيَّة واستقلاله في فهمها. إمامًا في العلوم الاجتماعية، يُكمل ذلك كلَّه قلمٌ بليغ شجاع، يجاري لسانه في البيان والسحر، فكان من أخطب خطباء العربيَّة وفرسان منابرها، كما كان من أكتب كتَّابها.

وهو من بيت عريق في المجد والملك والعلم، يتَّصل نسبه الثابت المحقَّق بالمعز بن باديس، مؤسس الدولة الباديسية الصنهاجية، إلى صنهاجة القبيلة البربريَّة العظيمة الَّتي حدثناكم عن دولها وآثارها بالجزائر، والمعز بن باديس هو جِذْم[1] الدولة الَّتي كانت بالقيروان. ويزعم بعض النسَّابين أنَّها يمنية وقعت إلى شمال إفريقيا، في إحدى الموجات الَّتي رمى بها الشرق والغرب من طريق برزخ السويس في الأوَّلين، كما رماه بالموجة الهِلَالية في الآخرين.

هذا الرجل النابغة يشهد التاريخ أنه واضع أساس النهضة الفِكريَّة في الجزائر، وقد سلك لها المسلك العلمي الحكيم، وهو مسلك التربية والتعليم، وأعانه على ذلك استعداده الفكري، وكمال أدواته، فتصدَّر للتعليم حوالي سنة (١٩١٤م) ببلدة قسنطينة، الَّتي هي مستقر أسرته من

(١) الجذم: الأصل. لسان العرب مادة (ج. ذ. م).

QaradawiBooks.com

المائة السابعة للهجرة، وعمره إذ ذاك دون الخامسة والعشرين، فجمع عليه عشرات من الشبان المستعدِّين، فعلَّمهم وربَّاهم، وطبعهم على قالَبه، ونفخ فيهم من روحه وبيانه، تطوعًا واحتسابًا، لا يرجو إلَّا جزاء ربه، ولا يقصد غير نفع وطنه.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يؤثر التربية على التعليم، ويحرص على غرس الفضائل في نفوس تلامذته قبل غرس القواعد الجافَّة في أدمغتهم، ويدرِّبهم على أنْ ينهجوا نهجه في العمل للعروبة والإسلام، فما انتهت الحرب العالمية الأولى حتَّى تخرَّج على يده، وعلى طريقته جيل من الشُّبَّان، تتفاوت حظوظهم من العلم النظري، ولكنَّهم طراز واحد في العمل وصحة التفكير والانقطاع للجهاد.

وكان من طريقته في التربية: أنْ يرمي إلى تصحيح الفكر، وصقل العقل، وترقية الروح، وتقوية الخُلُق، وتسديد الاتجاه في الحياة، وأنَّه يستخرج من قواعد العلوم التعليميَّة قواعد للاجتماع، وينتزع منها دروسًا في التربية والأخلاق.

فمن القواعد الإصلاحية المعروفة قولهم (مثلًا): الفاعل مرفوع، والعامل يتقدَّم. فمن أمثال هذه الجمل المبتَذلة الدائرة على الألسن في دراسة العلوم كان يستخرج من معانيها اللغوية نظرات اجتماعية طبيعيَّة. ككون الفاعل العامل مرفوع القدر عند الناس، وككون العامل يجب تقديمه على الكسلان العاطل، في جميع المقامات.

وقد ذكر لي بعض من حضر درسَه[1] في قول صاحب «الألفيَّة»: «كلامنا لفظٌ مفيدٌ كاستقمْ». قال: سمعتُه يقرِّر القاعدة النحوية الَّتي أرادها

(١) سمعت هذا شخصيًّا من الجزائري المجاهد الأستاذ الفضيل الورتلاني بحمد الله.

QaradawiBooks.com

ابن مالك، فسمعت ما أدهشني من التحقيق الَّذي لم يُعهد من علماء عصرنا، بالأسلوب الَّذي لم يُعهد من شُرَّاح الألفية سابقهم ولاحقهم، ما عدا أبا إسحاق الشاطبي، ثمَّ انتقل إلى شيء آخر نقلني إلى شيء آخر، وسما بي من الدهشة الَّتي ما فوقها مما لا أجد لها اسمًا، فكان درسًا اجتماعيًّا، أخلاقيًّا، على ما يجب أنْ يكون عليه الحديث الدائر بين الناس، وأنَّه إذا لم يكن مفيدًا في المعاش والمعاد كان لغوًا وثرثرة وتخليط مجانين، وإن سمَّته القواعد كلامًا، ثمَّ أفاض في الاستقامة الدينيَّة والدُّنيويَّة وأثرها في المجتمع، فعلمت أنَّ الرجل يعمل على أنْ يخرِّج من تلامذته رجالًا، وأنَّه يجري بهم على هذه الطرائق، ليجمع لهم بين التربية والتعليم، وكأنه يتعجَّل لهم الفوائد، ويسابق بهم الزمن، ما دامت الأمم قد سبقتنا بالزمن.

وهكذا كان الأمر، فإنَّه أخرج للأمة الجزائريَّة في الزمن اليسير جيلًا يفهم الحياة، ويطلبها عزيزة شريفة، ويتدرَّع إليها بالأخلاق المتينة، وقد كان يدربهم على الأعمال النافعة، كما يُدرِّب القائد المخلص جنوده، ويعدهم لفتح مصر[1]، أو لقاء مصرع، ولتلامذته إلى اليوم سمات بارزة في إتقان الدعوة الإصلاحية، الَّتي أعلنتها جمعيَّة العلماء في حياته، وفي صدق الاتجاه، وفي إتقان صناعة التعليم على طريقته. وهم الرعيل الأوَّل في الثورة الفِكريَّة الجارفة، الَّتي نقلت الجزائر من حال إلى حال.

وقد كان تعليمه والآفاق الَّتي فتحها ذهنه الجبَّار، وأسلوبه في الدروس والمحاضرات، كلُّ ذلك كان ثورةً على الأوضاع التعليميَّة المعروفة في بلدنا، حيث ابتدأ التعلُّم، وتوسط فيها، وفي جامع الزيتونة حيث انتهى.

(١) أي: مصر من الأمصار.

QaradawiBooks.com

ولم يكن علمه نتيجة دراسته التقليديَّة في البلدين، المحدودة بسنوات معدودة، وكتب مقروءة، على نحو ما في الأزهر، وإنَّما كان علمه نتيجة استعداد قوي، وذكاء خارق، وفهم دقيق، وذهن صيود لشوارد المعاني، غوَّاص إلى نهاياتها، كما وصفناه في أوَّل الحديث.

وحج في سنة (١٩١٣م)، ومر بالقاهرة ذاهبًا وبدمشق آيبًا وجاور بالمدينة ثلاثة أشهر بعد هجرتي إليها بسنتين، وكنا نجتمع في أغلب الليالي اجتماعًا خاصًّا، لا نتحدَّث فيه إلَّا عن القُطر الَّذي يجمعنا، وهو الجزائر، والبلد الَّذي يضمنا، وهو قُسنطينة، والآمال الَّتي تملأ نفوسنا، في ترقيته وإعداده للتحرير، فكما نُجمِع على أن لا وسيلة لذلك إلَّا العلم تنتشر أعلامُه، والجهل ينقشع ظلامه.

ثم تُصوِّر الخواطرُ لي وله مدارسَ تُشاد للنشء، وألسنةً تتفتَّق على العربيَّة، وأقلامًا تتشقَّق على الكتابة، فتصوِّر لنا قوَّة الأمل، ذلك كله كأنه واقع نراه رأيَ العين.

فإذا انتهينا من التصوُّرات أخذني بالحُجَّة، وألزمني بالرجوع إلى الجزائر، لنشترك في العمل المحقِّق للأمل، وأقام لي الدليل من الدين على أنَّ هذا العمل أشرف وأقرب إلى رضا الله من الهجرة، ولم أكن أُنكر عليه هذا، ولكن والدي رَحِمَهُ اللَّهُ كان يأبى عليَّ ذلك، فكنتُ أتخلص بالوعد بالرجوع عند سُنوح الفرصة.

ورجع هو من عامه، فابتدأ التعليم، وانثال[1] عليه الطلبة من المقاطعات الثلاث، وقدر الله، فرجعت بعد سبع سنوات من افتراقنا، فوجدتُ عمله قد أثمر، وأملنا قد بدأ يتحقَّق، ووجدتُ الحرب قد

(١) أي: اجتمع عليه أو انصب. لسان العرب مادة (ث. و. ل).

QaradawiBooks.com

فعلتْ في نفوس أُمَّتي، فكان من آثارها حياةُ الاستعداد الفطري، الَّذي أماته الاستعمار في تلك المرحلة، الَّتي عددنا لكم ما غرسته أيامها في نفــوس الجزائريِّين من بذور خبيثة، كان من ثمراتها: تخدير الشــعور، وإضعاف المعنويات.

وكان لرجوعي إلى الجزائر في نفس الشــيخ عبد الحميد بن باديس ما يكون في نفس القائد اتسعت عليه الميادين، وعجز عن اقتحامها كلها، فجاءه المدد لوقته.

وتلقانــي رَحِمَهُ اللَّهُ بمدينة تونس، مهنِّئًا لي ولنفســه وللوطــن، ومذكِّرًا بعهود المدينة المنورة، ومبشِّرًا بمواتاة الأحوال، وتحقُّق الآمال، فكانت مشــاركتي له بالرأي والتفكير والتقدير والدعاية، أكثر مما هي بالتعليم والتدريب، لما كان يحول بيني وبين الانقطاع إلى ذلك من عوائق، وإن كنتُ شــاركت في تحضير أذهــان العامَّة للنهضة الكبرى بســهم وافر، بواسطة دروس ومحاضرات.

ورجع أفراد من الإخــوان الَّذين كانوا بالشــرق مهاجرين، أو طلَّابًا للعلم، وجماعة من تلامذة الأستاذ ابن باديس، الَّذين أكملوا معلوماتهم بجامع الزيتونة، تنطوي نفوسهم من أســتاذهم على فكره ورُوحه، ومن جامع الزيتونة على متونه وشــروحه، فاســتقام الصدد، وانفتح السَّدَد، وتلاحق المَدَد، وكانت من أصواتِنا مسموعة ما يكون من الصيحة رجَّت النائم، ومن أعمالنــا مجموعة ما يكون من الروافــد انصبت في النهر، فجاشــت غواربه، وكانت تلك بداية النهضة بجميــع فروعها، والثورة الفِكريَّة بتمام معانيها»[1] اهـ.

(١) آثار البشير الإبراهيمي (١٤٠/٥).

QaradawiBooks.com

وبعد الشيخ ابن باديس: قاد الإبراهيمي سفينة التربية والتعليم، فكان يُعلِّم بنفسه أحيانًا، ويوجِّه المعلمين، ويؤلِّف في التربية، حتَّى إنَّه صنَّف كتابًا باسم «مرشد المعلمين»، قدَّمه أحد أبناء الجمعيَّة «الأستاذ محمَّد الغسيري» فقال: «وضع أستاذنا الجليل محمَّد البشير الإبراهيمي رئيس جمعيَّة العلماء منذ سنوات، برنامجًا حافلًا للتعليم العربي بجميع أنواعه، وضمَّنه أصولًا عظيمة من علم التربية، وقد سألناه منذ عامين: أن يجرِّد لنا فصولًا عملية تتعلق بالسنوات الست الابتدائية ففعل، وسلَّمه لنا لنطبعه، وننتفع به، وطالعناه، فلم نجده كالبرامج المعتادة، وإنَّما هو «معلم مكتوب». فهو يأخذ بيد المعلِّم ويسير به خطوةً بخطوةٍ إلى الغاية، لا يضلُّ عنها ولا يجوز، وكأنما هو «مُلقِّن» من وراء المعلِّم، يُملي عليه الكلام، ويرشده إلى كيفيَّة العمل. لذلك آثر جماعة من قدماء المعلمين تسميته: مرشد المُعَلِّمين»[1].

* * *

(١) جريدة البصائر، العدد (٦٧)، السنة الثانية، السلسلة الثانية، ١٩ شباط (فبراير) ١٩٤٩م.

QaradawiBooks.com

العمل الجماعي: ضرورة وشرطًا

غير مرخصة للطباعة

وإذا كان الشيخ الإبراهيمي يؤمن بالتوعية والتربية منهاجًا للإصلاح، ولا يكتفي بمجرد الخطب الرنانة، والكلمات المسجوعة، أو الدعايات الحزبيَّة، فإنَّه يؤمن كذلك، كما آمن شيخه ورفيقه وأسوته الإمام ابن باديس «بالعمل الجماعي» ضرورة وشرطًا للنجاح وتحقيق الرجاء.

فالعمل الفردي مهما يصحبه من الإتقان والإخلاص محدود الأثر، محصور القدرة، مقيَّد الإمكانات، ولكن إذا تظافرت الجهود، وتلاحمت القُوَى، أصبحت اللبنات المتفرِّقة بنيانًا مرصوصًا، يشدُّ بعضه بعضًا.

فالمرء قليل بنفسه، كثير بإخوانه، ضعيف بمفرده، قوي بجماعته، ويد الله على الجماعة، وإنَّما يأكل الذئب من الغنم القاصية، والشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، وقد قال الله تعالى لموسى: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص: ٣٥].

وفكرة الإمام ابن باديس ورفقائه هنا، هي نفس فكرة الإمام حسن البنَّا وإخوانه في مصر، حيث لم يكتفِ بالوعظ والإرشاد طريقًا للإصلاح، ولكنَّه رأى أنَّ العمل الجماعي المنظَّم ضرورة لا بدَّ منها لنصرة الإسلام وإحيائه، وتجديد أثره في الأمَّة، ولتحرير مصر وبلاد العرب والمسلمين من الاستعمار، وكل سلطانٍ أجنبيٍّ لإقامة دولة الإسلام فيها.

QaradawiBooks.com

توافق الإمامان على غير التقاء بينهما، وأنشأ حسن البنَّا جمعيَّة الإخوان المسلمين سنة (١٩٢٨م)، أو (١٩٢٩)[١]، وأسَّس ابنُ باديس جمعيَّة العلماء سنة (١٩٣١م).

وإن كنت قرأت في مقالة العلَّامة الإبراهيمي: أنَّ فكرة الشيخ ابن باديس في إنشاء الجمعيَّة، كانت أسبق من ذلك، فقد حاول أنْ ينشئ جمعيَّة أطلق عليها: «جمعيَّة الإخاء العلمي» سنة (١٩٢٤م) ولكن حالت الحوائل دون ذلك.

أسَّس ابن باديس جمعيَّة العلماء للنهضة والإصلاح والتحرير، وكان نائبه ورفيق دربه البشير الإبراهيمي، وبعد وفاته كان أمينًا على العمل الَّذي بدأاه معًا، وفيًّا له، حريصًا على أنْ يستمر في إيتاء أُكُله، وتحقيق أهدافه الكبيرة. كما كان حريصًا أبلغ الحرص على أنْ يعطي كل ذي حق حقه، فيتحدَّث عن ابن باديس أنه: هو المؤسس والباني والبادئ، وأول من بذر بذور الإصلاح والتجديد، وأول من ارتفعت صحيفته بتحرير الجزائر ونهوضها وبنيانها من جديد، بل أوَّل داعية إلى التجديد والإصلاح في المغرب العربي كله.

من آثار العمل الجماعي:

والعمل الجماعي أقدر على إنجاز المشروعات الكبيرة، وتحقيق الآمال الطموحة، مما لا يستطيع الأفراد ـ وإن بلغوا ما بلغوا ـ أن يحقِّقوه. وها هو الإبراهيمي يُعدِّد لنا في مقال له: ما قامت به «جمعيَّة

(١) تبين بالدليل أنَّ تأسيس جماعة الإخوان المسلمين كان هو نيسان أو أيار (أبريل أو مايو) ١٩٢٩م، لا ١٩٢٨م، وهذا هو الموافق لذي القعدة ١٣٤٧هـ. راجع كتابنا: الإخوان المسلمون ٧٠ عامًا صـ ٦، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٧، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

QaradawiBooks.com

العلماء» من أعمال أصيلة ومنجـزات جليلة، ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ [الأعـراف: ٥٨]: «مائـة وثلاثون مدرسـة عربيَّـة مجهزة بكل الأسباب المادِّيَّة العصرية اللازمة للمدارس، وبجهاز آخر من المعنويَّات أعظم منها شأنًا وأجل خطرًا، وبجند من المعلِّمين الأكْفاء قِوَامه: مائتان وخمسـون معلمًا، من بينهم عشـرات النوابـغ في التعليـم والإدارة، ومشـحونة بزُهاء ثلاثين ألف تلميذ من أبناء الأُمَّة بنين وبنات، يتلقَّوْن مبادئ الدين الصحيح: عقيدة وأعمـالًا، ومبادئ العربيَّة الفصيحة، نطقًا وكتابة وإنشـاء، ويتربَّوْن على الوطنيَّة الحقيقية وعلى الهداية الإسلاميَّة والآداب العربيَّة، ويتكوَّن منهم جيل مسـلَّح بالعلـم، ثابت العقيدة في دينه ووطنه، قوي العزيمة في العمل لهما... ويزيد في قيمة هذه الحصون العلميَّة أنَّ الأمَّـة تملك أعيان نحو الخمسـين منهـا، وتملك الانتفاع بالباقي على وجه الكراء. وسـبع وثلاثون مدرسـة أخرى شرعت الأمَّة الإسلاميَّة في تشييدها في هذه السـنة، وفيها ما يحتوي على ستة عشر قسمًا، وفيها ما تقدر نفقاته بخمسة عشـر مليونًا من الفرنكات. ومعهد تجهيزي عظيم، يخطو إلى الرقي والكمال في كل يوم في نظامه وبرامجه وأساتذته وتلامذته، يؤوي من تُخرِّجه تلك المدارس، ليزوِّد الأمَّة منهم بالوعاظ والمرشدين وخطباء المنابر، ويزوِّد الطامحين منهم إلى المزيد من العلم بالمؤهلات إلى ما يطمحون إليه.

وجمعيَّات بلغت المئات، مقسَّـمة على العلم والإحسـان والأدب والرياضة، تبث في الأمَّة: النظام، والإدارة، وآداب الاجتماع، وديمقراطيَّة الانتخاب، وتعلمها كيف تناقش، وكيف تصوغ الرأي، وكيف تدافع عنه، وكيف تنقضه بالحجة، وكيف تزن الأفكار، وكيف تحاسـب العاملين. وتدرِّبها على التدرُّج مـن الإدارات الصغرى إلى الإدارات الكبرى؛ لأنَّ

QaradawiBooks.com

الأُمَّة الَّتي لا تُحسِن إدارة جمعيَّة صغيرة، لا تحسن بالطبع إدارة مجلس، فضلًا عن حكومة، ولا كالجمعيَّات مدارس تدريب، ونماذج تجريب.

ونوادٍ بلغت العشرات، غايتها إصلاح ما أفسدت المقاهي والملاهي من أخلاق الشباب. وكلُّها ميادين للعمل، ومنابر للخطابة، ومستغلات للعلم والتعليم.

وآلاف من الشباب العربي المسلم كان كالمجهول في نَسَبه، وكالجاهل لحَسَبه، ففتحت المحاضرات الحيَّة أذهانه على تاريخ أسلافه، وفتقت ألسنته على آدابهم، فتقاسم على أن يقفو الأثر، ويجدِّد ما اندثر، وأقبل على العلم، حتَّى إذا ضاقت به الجزائر فارقها كالنحلة، ترحل إلى المكان السحيق، لترجع إلى خليتها بالرحيق.

وإصلاح ديني تمكَّن من النفوس، وتغلغل في الأفئدة، فطهَّرها من الشوائب الَّتي شابت الدين، ومن النقائض الَّتي شانت الدنيا، وصحَّح العقائد، فصحَّت القواعد، وصحَّح العزائم، فأقدمت على العظائم، وإذا صحَّت العقائد، وصلحت النيات، ظهرت الآثار في العزائم والإرادات.

وفضائل شرقيَّة كانت مُشْرِفة على التلاشي، فأحيتها مدارسة القرآن، وممارسة التاريخ، وإفشاء الآداب العربيَّة، ونشر المآثر العربيَّة.

وأمة كاملة كانت نهبًا مقسَّمًا بين استعمارين متعاونين على إبادتها: مادِّي مُتسلِّط على الأبدان. ورُوحاني مُتسلِّط على العقول[1]، فصحَّحت حركة الإصلاح الدِّيني عقولها، فصحَّ تفكيرها، واتَّزن تقديرها، واستقام

(١) يعني بالأول الاحتلال الفرنسي، وبالثاني التصوف الطرقي.

QaradawiBooks.com

اتجاهها للحياة. وإن تحرير العقول من الأوهام، سبيل ممهد إلى تحرير الأبدان من الاستعباد.

هذا هو رأس المال الضخم الَّذي أثَّلته[١] جمعيَّة العلماء للأمَّة الجزائريَّة في بضع سنين، وغذَّت به البقايا المدَّخرة من ميراث الأسلاف.

وهذه هي الأعمال الَّتي عملتها جمعيَّة العلماء للعروبة والإسلام، فحفظت لهما وطنًا أشرف على الضياع، وأمَّة أحاطت بها عوامل المسخ، فأصبحت أمَّة عربيَّة مسلمة شرقيَّة نضاهي بها أخواتها في العروبة والإسلام، بل نُبَاهِيهِنَّ بها. وما شيَّدت جمعيَّة العلماء هذا البناء الشامخ من الماديات والمعنويات، ورفعت سَمْكه، إلَّا بعد أن أزالت أنقاضًا من الباطل والضلال؛ تنوء بالعُصَب أولي القوَّة والأيدي، وبعد أن نازلت جيوشًا من المبطلين المضلِّلين تَكِعُّ عن لقائها الأبطال، وبعد أن لقيت من حماة الاستعماريين ما تلقاه فئة الحق من فئات الباطل: كانوا أكثر وأوفر، وكنا أثبت وأصبر، وكانت العاقبة للصابرين»[٢].

* * *

(١) أي: أصَّلته. ينظر: لسان العرب، مادة (أ. ث. ل).

(٢) جريدة البصائر، العدد (٤٦)، السنة الثانية، السلسلة الثانية، ٢٣ آب (أغسطس) ١٩٤٨م.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

٥

الأمَّة العربيَّة الإسلاميَّة: ساحة وميدانًا

كان الإمـــام الإبراهيمي يجاهد في معركةٍ كبيـــرة، كثر فيها الخصوم والأعداء، وقلَّ فيها الأعوان والنصراء، وشُـــحذت فيها أسلحة كثيرة من قِبَل هؤلاء الأعـــداء، المجهَّزين بكلِّ ما تطلبه المعركـــة، فهم مجهَّزون بالعلم، ومجهَّزون بالمال، ومجهَّزون بالمكر، ومجهَّزون بالعَدَد والعُدة، ومجهَّزون بالتكاتف والتعاضد.

فهم يختلفون فيما بينهم على أمور شـــتَّى، ولكن إذا كان العدو هو الإسلام: اتفقت كلمتُهم، والتأم شملُهم، وتوحَّد صفُّهم، ونسُوا ما بينهم من خلافات جانبية.

ومما ضاعف من صعوبة هذه المعركة وشدتها وخطرها: أنَّ ساحتها واسعة جدًّا، مســـاحتها «الأمة الإســـلاميَّة» على امتداد أقطارها، واتساع مساحاتها، وتباعد أطرافها، وتنوع عروقها، وتعدد لغاتها.

الأمة المســـلمة في مشـــارق الأرض ومغاربها كانـــت ميدان العمل والدعوة والجهاد للإبراهيمي.

قضية فِلَسْطين في المقدمة:

ولذا كان اهتمامه بكل قضايا الأمَّة، وعلى رأسها قضيَّتُها المحوريَّة: قضيَّة أرض الإســـراء والمعراج والأقصى: فِلَسْطين، الَّتي خصَّها بالمزيد

QaradawiBooks.com

من الاهتمام فهو يعيش فيها، وتعيش فيــه، يذكِّر بمحنتها، ويحامي عن حقِّها، ويحرِّض العرب والمســلمين على الذَّوْد عــن حياضها، ويدعو الجزائريِّين خاصَّة أنْ ينهضوا بواجبهم نحوها، ولا يتخاذلوا عن نصرتها بكل ما يستطيعون.

كان هذا موقفه قبل أنْ تقوم دولة الكيان الصهيوني، وبعد أن قامت.

اســتمع معي إلى ما كتبه في «البصائر» في العدد (٥) سنة (١٩٤٧م): «يا فِلَسْطين، إنَّ في قلب كل مســلم جزائري من قضيَّتك جروحًا دامية، وفي جَفْن كلِّ مسلمٍ جزائري من محنتك عَبَرات هَامِيَة، وعلى لسان كلِّ مســلم جزائري في حقِّك كلمة متــردِّدة هي: فِلَسْــطين قطعة من وطني الإســلامي الكبير، قبل أنْ تكون قطعة من وطني العربي الصغير. وفي عنق كلِّ مســلم جزائري لك ـ يا فِلَسْــطين ـ حقٌّ واجبُ الأداء، وذمام متأكِّد الرعاية، فــإنْ فرّط في جنبك، أو ضاع بعــضُ حقِّك، فما الذنب ذنبه، وإنَّما هو ذنب الاســتعمار الَّذي يحول بين المــرء وأخيه، والمرء وداره، والمسلم وقبيلته.

يا فِلَسْطين، إذا كان حب الأوطان من أثر الهواء والتراب، والمآرب الَّتي يقضيها الشباب، فإنَّ هوى المسلم لكِ أنَّ فيك أولى القبلتين، وأنَّ فيك المســجد الأقصى الَّذي بارك الله حوله، وإنكِ كنتِ نهاية المرحلة الأرضية، وبداية المرحلة السماوية، من تلك الرحلة الواصلة بين السماء والأرض صعودًا، بعد رحلــة آدم الواصلة بينهما هبوطًــا؛ وإليكِ إليكِ ترامت همم الفاتحين، وترامت الأيْنُق[1] الذُّلُل بالفاتحين، تحمل الهدى والســلام وشــرائع الإســلام، وتنقل النبوة العامَّة إلــى أرض النبوات

(١) الأيْنُق: جمع قلة لناقة. لسان العرب مادة (ن. و. ق).

QaradawiBooks.com

الخاصة، وثمار الوحي الجديد، إلى منابت الوحي القديم، وتكشف عن الحقيقة الَّتي كانت وقفت عند تبوك، بقيادة محمَّد بن عبد الله، ثمَّ وقفت عند مؤتة بقيادة زيد بن حارثة، فكانت الغزوتان تحويمًا من الإسلام عليك، وكانت الثالثة وردًا، وكانت النتيجة أنَّ الإسلام طهَّرك من رجس الرُّومان، كما طهَّر أطراف الجزيرة قبلك من رجس الأوثان».

وفي هذه المقالة يقول: «أيظنُّ الظانون أنَّ الجزائر بعراقتها في الإسلام والعروبة تنسى فِلَسْطين؟! وتضعها في غير منزلتها الَّتي وضعها الإسلام من نفسها؟ لا والله! يأبى لها ذلك شرف الإسلام، ومجد العروبة، ووشائج القربى.

ولكنَّ الاستعمار الَّذي عقد العُقْدة لمصلحته، وأبى أنْ يحُلَّها لمصلحته، وقايض بفِلَسْطين لمصلحته: هو الَّذي يباعد بين أجزاء الإسلام، لئلَّا تلتئم، ويقطع أوصال العروبة كيلا تلتحم، وهيهات»[1].

ويستمرُّ الشيخ على هذا النهج في التركيز بفِلَسْطين، والتعريف بعدالة قضيَّتها، وجمع الأُمَّة كلها حولها، في سبع مقالات مطوَّلة، بأسلوب الشيخ الَّذي يُحرِّك السواكن، ويثير الكوامن، ويُفَجِّر المكنون من الطاقات.

انظر ما كتبه عن «عيد الأضحى وفِلَسْطين»: «النفوس حزينة، واليوم من يوم الزينة، فماذا نصنع؟

إخواننا مشرَّدون، فهل نحن من الرحمة والعطف مجرَّدون؟

تتقاضانا العادة أنْ نفرح في العيد ونبتهج، وأنْ نتبادل التهاني، وأنْ نطرح الهموم، وأنْ نتهادى البشائر.

(١) جريدة البصائر، العدد (٥)، ١٩٤٧م.

QaradawiBooks.com

وتتقاضانا فِلَسْطين أنْ نحزن لمحنتها ونغتم، ونُعْنى بقضيتها ونهتمَّ.

ويتقاضانا إخواننا المشرَّدون في الفيافي، أبدانهم للسوافي، وأشلاؤهم للعوافي، ألَّا ننعم حتَّى ينعموا، وألَّا نطعم حتَّى يطعموا.

ليت شعري! هل أتى عُبَّاد الفَلْس والطين، ما حل ببني أبيهم في فِلَسْطين؟

أيها العرب، لا عيد حتَّى تنفِّذوا في صهيون الوعيد، وتنجزوا لفِلَسْطين المواعيد، ولا نحر حتَّى تقذفوا بصهيون في البحر.

أيها العرب، حرام أنْ تنعموا وإخوانكم بؤساء، وحرام أنْ تطعموا وإخوانكم جياع، وحرام أنْ تطمئنَّ بكم المضاجع، وإخوانكم يفترشون الغبراء.

أيها المسلمون، افهموا ما في هذا العيد من رموز الفداء والتضحية والمعاناة، لا ما فيه من معاني الزينة والدَّعَة والمطاعم، ذلك حقُّ الله على الرُّوح، وهذا حقُّ الجسد عليكم.

إنَّ بين جنبي ألمًا يتنزَّى، وإنَّ في جوانحي نارًا تتلظَّى، وإنَّ بين أناملي قلمًا سِمَتُه أنْ يجري فجمح، وأنْ يسمح فما سمح، وإنَّ في ذهني معاني أنحى عليها الهمُّ فتهافتت، وإنَّ على لساني كلمات حبسها الغم فتخافتت.

فلو أنَّ قومي أَنْطَقَتْني رِمَاحُهم نطقتُ ولكنَّ الرِّمَاحَ أَجَرَّتِ»[1]

(١) جريدة البصائر، العدد (٥٣)، ١٩٤٨م. والبيت من قول عمرو بن معديكرب الزُّبَيْدي، كما في شرح النقائض لأبي عبيدة لمعمر بن المثنى (٢١٦/١)، تحقيق محمد إبراهيم حور ووليد محمود خالص، نشر المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط٢، ١٩٩٨م.

QaradawiBooks.com

وكتب مرَّة أخرى بمرارة مقالًا يقول فيه: هل لمن أضاع فِلَسْطين عيد؟

ولنقرأ هذه الكلمات البليغة المعبِّرة الَّتي ارتجلها الإبراهيمي في حفل أقامته جمعيَّة الإخوة الإسلاميَّة في العراق، ونشرتها مجلتها، قال: «إنَّ معرفة كارثة فِلَسْطين لا تعدو أنْ تكون أسئلة وأجوبة؛ فإن استطعنا أنْ نعرف الداء، ثمَّ نعالجه.

أمَّا السؤال الأول، فهو: هل أضعنا فِلَسْطين؟

الجواب: نعم.

السؤال الثاني: هل أعطيناها أم أخذوها منا؟

الجواب: أعطيناها نحن!

السؤال الثالث: هل يمكن استرجاعها؟

الجواب: يمكن استرجاعها.

ثم قال: بماذا أضعنا فِلَسْطين؟

الجواب: أضعناها بالكلام.

فقد كان الشعراء ينظمون القصائد الطويلة العريضة في مديح العرب وتسفيل اليهود، والكُتَّاب يكتبون، والساسة يصرحون، فبين النظم والتصريح والكتابة والخطابة ضاعت فِلَسْطين!

ثم قال: الرجل البطل يعمل كثيرًا، ولا يقول شيئًا»[1] اهـ.

والإجرار: شق لسان الفصيل لئلا يرضع. والمعنى: لو أنَّ قومي أبلوا بلاء حسنًا ذكرت ذلك، ولكن رماحهم أساءت البلاء؛ فقطعت لساني عنهم.

(١) مجلة الأخوة الإسلامية، بغداد، العدد الرابع، السنة الثانية، ٢٠ جمادى الأولى ١٣٧٢هـ ـ الموافق ٥ شباط (فبراير) ١٩٥٤م.

QaradawiBooks.com

وفي مقام آخر ختم مقالة بهذه الكلمات المضيئة الَّتي يكاد يحفظها الجزائريون كافَّة: «أيُّها العرب، أيُّها المسلمون!

إنَّ فِلَسْطين وديعة محمَّد عندنا، وأمانة عمر في ذمَّتِنا، وعهد الإسلام في أعناقنا، فلئن أخذها اليهود منا ونحن عصبة إنَّا إذا لخاسرون!»[1].

مشاركة تونس في محنتها:

وإذا كان الشيخ يهتمُّ بفِلَسْطين على بُعد الدار، فلا غرو أنْ يهتم بالمغرب العربي، أو بالشمال الأقصى، وهو أقرب دارًا، فهو يألم لألمه، ويبكي في أحزانه، ويشدو في أفراحه. وقد كتب تحت عنوان «كوارث الاستعمار» مواسيًا لتونس يقول:

«فات «البصائر» بسبب عُطلة المطبعة أسبوعَين في آخر رمضان، أنْ تشارك الأمَّة التونسيَّة العزيزة في إعلان الحزن على ما أصابها في العهد الأخير، من كوارث الاستعمار، الَّتي تجلَّت في الحادثتَيْن الداميتَيْن، حادثة «جبل الجلود» وحادثة «صفاقس».

أمَّا التألُّم والامتعاض من قتل الأبرياء المسالمين، وأمَّا الحزن والأسى لإخواننا الَّذين ماتوا مظلومين، ولأطفالهم وزوجاتهم الَّذين بَقُوا بلا مال ولا عائل، فإنَّ حظنا منها لا يقل عن حظ إخواننا التونسيين، ومحالٌ أنْ يتألَّم عضوٌ من جسد، ولا يتألَّم له سائر الأعضاء، وقد ألَّفت هذه المصائب المتوالية، وهذه المصائب المُتَّحدة المصدر؛ بين قلوبنا تأليفًا جديدًا، مُحْكَم النسْج، وأرهفت إحساسنا، وصيَّرتنا

(١) انظر: آثار البشير الإبراهيمي (٤٤٥/٣).

QaradawiBooks.com

كتلة من لحمٍ مرضوض، في لُجَّة من الدمـــوع المرفضة، فلا يمتاز في مصائبنا مُعَزٍّ من مُعَزًّى.

عُذرنا إلى إخواننا أنَّنا لم نخســـر في باب التعزية إلَّا سطورًا سوداء في أوراق بيضاء تُقرأ وتُهجر. وعِوَضنا الغالي عنها إحساسات مضطربة في نفوس متألِّمة»[1].

ويكتب المقالات في الصفحـــات المتعدِّدة عن «المغرب»، وقد كان يُســـمَّى في ذلك الوقت «مُرَّاكش» أو المغرب الأقصـــى، ويتحدَّث عن الملك محمَّد الخامس الَّذي وقف ضد فرنسا، وقامت بنفيه خارج البلاد، وأثنى عليه ثناء جميلًا، على قلة ثنائه على الملـــوك والأمراء. بل كثيرًا ما يُصليهم نارًا من كَلِمه، الَّذي نراه أحيانًا أحَدَّ من السيف.

ولليبيا حقٌّ مؤكَّد:

كما تحدَّث الشـــيخ كثيرًا عن تونس ومُرَّاكش ـ أو المغرب الأقصى كما كان يســـمَّى ـ تحـــدث عن ليبيـــا فقـــال: «ولإخواننـــا الليبيِّين ـ أو الطرابلسيِّين كما نســـمِّيهم ـ علينا حق الدين، وحق اللغة، وحق الجنس، وحق الجوار، وحق الاشـــتراك في الآلام والمحن، وفي الآمال المقترحة على الزمن، وهذه كلها أرحـــام يجب أنْ تُبل ببَلَالهـــا، وحقوق في ذمَّة المـــروءة والوفاء يجـــب أنْ تؤدَّى، وإن في حســـن القضـــاء عند الكرام والأوفياء أنْ يكون في وقت الحاجة إليـــه، وإن هؤلاء الإخوان اليوم في طور امتحان عســـير معقَّد، تتخلله الأهواء والمطامـــع، ويحيط به الكيد والتعنيت مـــن كل جانب، وإنَّ نجاحهم فيه يتوقَّـــف على جمع الكلمة،

(١) جريدة البصائر، العدد (٥)، السنة الأولى، السلسلة الثانية، أيلول (سبتمبر) ١٩٤٧م.

QaradawiBooks.com

وتسوية الصف، وتوحيد الرأي، ومتانة الإيمان بالحقِّ، والحذر الشديد من الأشراك المنصوبة، والعصب الدخيلة، والنظر البعيد في العواقب المخبوءة، والمكايد الخفية، والاحتفاظ بكلمة الفصل، يقولها الواحد، فتردِّدُها الملايين، وإنَّهم في حالة انتقال، من حال إلى حال، من حال كانوا يواجهون فيه عدوًّا واحدًا مكشوف النيات والسرائر، حيواني الشهوات والمنازع، إلى حال يواجهون فيه ثلاثة أعداء متشاكسي المصالح، متباينـي المطامع، متظاهرين بالتقوى والعدل، والنصيحة الرشيدة للمستضعفين، ولكنَّهم متَّفقون على الاستغلال، لا على الاستقلال، ومن ورائهم ذلك الثعلب القديم، وقصمت الحرب ظهره، جائعًا يتضوَّر، وقابعًا يتحفَّز، وحانقًا يتلظَّى، وراجيًا يتعلَّق، وطامعًا يتملَّق.

قاوم هؤلاء الإخوان الاستعمار الإيطالي، ووقفوا في وجهه وقفة المستميت، لم يَثنهم التقتيل والتشريد، حتَّى إذا استيئسوا، وظنوا أنَّ هذا الجار العنيد ختم عليهم بالعبوديَّة المؤبَّدة، جاءت الحرب الأخيرة، وعاد الرجاء، ونبض عرق البطولة، وهب المغاوير من سلائل العرب، يثأرون لعمر المختار، والشهداء الأبرار، حتَّى اشتَفَوْا، وأوبقت إيطاليا جرائرها، فأبادها الله، وما كان إخواننا يدرون أنَّهم يعينون استعمارًا على استعمار، وأنهم سينتقلون من شِدْق الأفعى، إلى ناب الأفعوان، ولكنَّهم لم يهنوا ولم يفشلوا في طلب استقلالهم، فصُمَّت الآذان عن سماع صوتهم حينًا، ثمَّ تصادمت المطامع، فكان لأصوات الدول الضعيفة في مجلس الأمم مجال في الآذان الصماء، ومنفذ إلى القلوب الغُلْف، فقضى ذلك المجلس باستقلال ليبيا طائعًا كمُكْرَه، ولكنَّه أرجأ الإنجاز إلى أوَّل سنة ١٩٥٢م»[1].

(١) جريدة البصائر، العدد (١١٣)، ٢٧ آذار (مارس) ١٩٥٠م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

جزيرة العرب في وجدان الإبراهيمي:

وهو يتابع بفكره وقلبه وأعصابه وإحساسه كل بلاد الإسلام. فاقرأه وهو يتحدَّث عن جزيرة العرب، ومصر، وشمال إفريقيا وغيرها، يقول: «وهذه الجزيرة العربيَّة مجلى البيان والوحي، ومسرح الخيال والشعر، ومنبت حُماة الحقائق من قحطان وعدنان، تُنصب فيها أشراك الشَّرِكات، ووراء كل شَرَك صائد؛ وتتناطح فيها رؤوس الأموال؛ ووراء كل رأس مال رؤوس حيوانيَّة تفكر في الكيد، وأيد حريرية تحمل القَيْد؛ وأرجل تسعى للاحتلال والاستغلال؛ وقد فُجعت صحراؤها في الدليل الَّذي كان يسَتَافُ أخلافَ الطُّرُق[١]، بالدليل الَّذي جاء يستشف[٢] أطباق الأرض، ويشتفُّ[٣] ما فيها من سوائل؛ وأصبح ما في الأرض من الكنوز السائلة والجامدة بلاء، وشقاء لمن على ظهرها من أهل وسكان.

وهذه مصر كنانة السهام؛ أرض العبقرية وسماء الإلهام، وقبلة العرب ومحراب الإسلام، تدفع بقوَّة إيمانها ألوهية فرعون جديد. وتدفع بيقظتها كيد شيطان مريد، بعد أن أنقذها الإسلام من تعبد الفراعنة الأولين؛ وإنَّ فرعون الجديد لعالٍ في الأرض ـ كأخيه ـ وإنَّه لمن المفسدين.

وهذا الشمال[٤] قد أصبح أهله كأصحاب الشمال، في سَمُوم من الاستعمار وحميم، وظل من يحموم، لا بارد ولا كريم؛ أفسد الاستعمار أخلاقهم»[٥].

(١) الاستياف: شم الدليل لتراب الأرض ليعرف أين موقعه عند الضلال، ومن هذا الفعل أخذت كلمة المسافة.

(٢) استشف الشيء: صيره شفافًا، أو وجده كذلك بعد الاختيار.

(٣) يُقال: اشتف ما في الإناء، إذا أتى على آخره؛ فلم يترك منه شيئًا.

(٤) يريد شمال إفريقية.

(٥) جريدة البصائر، العدد (١٢)، ٢٧ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٧م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولمصر مكانة خاصة:

ويتحدَّث في مقال خاص رائع يخاطب فيه مصر (يا مصر)، فيقول، وما أبدع ما يقول: «انشري كنانتك يا كنانة الله، فإن لم تجدي فيها سلاح الحديد والنار فلا تراعي، واحرصي على أنْ تجدي فيها السلاح الَّذي يفلُّ الحديد، وهو: العزائم. والمادة الَّتي تطفئ النار، وهي: اتِّحاد الصفوف. والمِسَنُّ الَّذي يشحذ هذين، وهو: العفة والصبر. فلعمرك ـ يا مصر ـ إنَّهم لم يقاتلوك بالحديد والنار، إلَّا ساعة من نهار، ولكنَّهم قاتلوك في الزمن كله بالأستاذ الَّذي يفسد الفكر، وبالكتاب الَّذي يزرع الشك، وبالعلم الَّذي يُمرض اليقين، وبالصحيفة الَّتي تنشر الرذيلة، وبالفيلم الَّذي يُزَيِّن الفاحشة، وبالبَغِيِّ الَّتي تخرب البيت، وبالحشيش الَّذي يهدم الصحة، وبالممثِّلة الَّتي تمثِّل الفجور؛ وبالراقصة الَّتي تغري بالتخنُّث؛ وبالمهازل الَّتي تقتل الجِدَّ والشهامة؛ وبالخَمرة الَّتي تذهب بالدين والبدن والعقل والمال؛ وبالشهوات الَّتي تفسد الرجولة، وبالكماليات الَّتي تثقل الحياة؛ وبالعادات الَّتي تناقض فطرة الله؛ وبالمعاني الكافرة الَّتي تطرد معاني الله من القلوب؛ فإنْ شئتِ أنْ تُذيبي هذه الأسلحة كلها في أيدي أصحابها فما أمرك إلَّا واحدة، وهي أنْ تقولي: إنِّي مسلمة. ثمَّ تصومي عن هذه المطاعم كلها.. إنَّ القوم تجار سوء، فقاطعيهم تنتصري عليهم. وقابلي أسلحتهم كلها بسلاح واحد، وهو التعفُّف عن هذه الأسلحة كلها. فإذا أيقنوا أنك لا حاجة لك بهم، أيقنوا أنَّهم لا حاجة لهم فيك، وانصرفوا. وماذا يصنع المرابي في بلدة لا يجد فيها من يتعامل معه بالربا»[1] انتهى.

(١) جريدة البصائر، العدد (١٧٨)، ١٩٥٢م.

QaradawiBooks.com

قومي هم العرب والمسلمون:

ويتحدَّث الشيخ عن قومه وقضاياهم ومآسيهم الَّتي تؤرق عليه ليله، وتكدِّر عليه نهاره. وقومه هم العرب والمسلمون. يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «والحقيقة هي أنِّي كلَّما أظلَّني عيد من أعيادنا الدينيَّة أو القوميَّة، أظلتني معه سحابة من الحزن لحال قومي، وما هم عليه من التخاذل والانحلال والبعد عن الصالحات، والقرب من الموبقات... وقومي هم العرب أولًا، والمسلمون ثانيًا، فهم شغل خواطري، وهم مجال سرائري، وهم مالئو أرجاء نفسي، ومالكو أزمَّة تفكيري.

أفكر في قومي العرب، فأجدهم يتخبَّطون في داجية لا صباح لها، ويُفتنون في كل عام مرة أو مرتين، ثمَّ لا يتوبون ولا هم يذكَّرون، وأراهم لا ينقلون قَدَمًا إلى أمام إلَّا تأخروا خطوات إلى وراء، وقد أَنْزلوا أنفسهم من الأمم منزلة الأَمَة الوكْعاء من الحرائر، عجزت أنْ تتسامى لعُلاهن، أو تتحلَّى بحُلاهن، فحصرت همها في إثارة غَيْرة حرة على حرة، وتسخير نفسها لضَرَّة نكاية في ضرَّة، وأفكِّر في علَّة هذا البلاء النازل بهم، وفي هذا التفرُّق المبيد لهم، فأجدها آتية من كبرائهم وملوكهم، ومن المعوقين منهم الَّذين أشربوا في قلوبهم الذل، فرئموا الضيم والمهانة، واستحبوا الحياة الدنيا، فرضوا بسفسافها، ونزل الشرف من نفوسهم بدار غريبة فلم يُقِم، ونزل الهوان منها بدار إقامة فلم يَرِم؛ وأصبحوا يتوهَّمون كل حركة من إسرائيل، أشباحًا من عزرائيل.

وأفكر في قومي المسلمين، فأجدهم قد ورثوا من الدين قشورًا بلا لباب، وألفاظًا بلا معانٍ؛ ثمَّ عمدوا إلى رُوحه، فأزهقوها بالتعطيل، وإلى زواجره، فأرهقوها بالتأويل، وإلى هدايته الخالصة، فموَّهوها

QaradawiBooks.com

بالتضليل، وإلى وحدته الجامعة، فمزَّقوهـا بالمذاهب والطُّرق والنِّحْل والشِّـيَع؛ قد نصبوا من الأموات هياكل، يفتتنون بها، ويقتتلون حولها، ويتعـادُون لأجلها؛ وقد نسـوا حاضرهم افتتانًا بماضيهـم، وذهبوا عن أنفسـهم اعتمادًا على أوليهم، ولم يحفَلوا بمسـتقبلهم لأنَّه ـ زعموا ـ غيب، والغيـب لله، وصدق الله وكذبـوا، فما كانت أعمـال محمَّد ﷺ وأصحابه إلَّا للمستقبل، وما غرس محمَّد ﷺ شجرة الإسلام، ليأكل هو وأصحابه من ثمارها، ولكن زرع الأوَّلُون، ليجني الآخِرون.

وهم على ذلك إذ طوَّقتهم أوربا بأطواق من حديد، وسامتهم العذاب الشديد، وأخرجتهم من زمرة الأحرار إلى حظيرة العبيد، وورثت بالقوَّة والكيـد والصولة والأيْـد[1] أرضهـم وديارهم، واحتجنـت[2] أموالهم وخيرات أوطانهم، وأصبحـوا غرباء فيها، حظُّهم منهـا حظُّ الأوكس، وجزاؤهم منها جزاءُ الأبخس.

إن من يفكـر في حال المسـلمين، ويسترسـل مـع خواطره إلى الأعماق، يفضي به التفكير إلى إحدى نتيجتيـن: إما أن ييأس فيكفر، وإما أن يُجنَّ فيستريح!

وجاء هـذا العيد، والهوى فـي مراكش يأمر وينهـى، والطغيان في الجزائر بلغ المنتهى، والكيد في تونس يسلِّط الأخ على أخيه، وينام ملء عينيـه، والأيدي العابثـة في ليبيا تمـزِّق الأوصال، وتـداوي الجروح بالقـروح، وفرعون في مصـر يحاول المحـال، ويطاول فـي الآجال؛ ومشكلة فِلَسْطين أَكِلَة خبيثة في وجه الجزيرة العربيَّة، تسري وتستشري؛

(١) الأيد، والآد: القوة. مختار الصحاح مادة (أ. ي. د).

(٢) أي: اجتذبت واحتضنت. لسان العرب مادة (ح. ج. ن).

QaradawiBooks.com

والأردنُّ قنطرة عبور، للويل والثبور، وسوريا ولبنان يتبادلان القطيعة، والحجاز مَطمح وُرَّاث متعاكسين، ونُهْزة شركاء متشاكسين، وقد أصبحت حماية «بيته»، معلَّقة بحماية زيته[١]، واليمن السعيدة شقيَّة بأمرائها، مقتولة بسيوفها؛ والعراق أعيا داؤه الرَّاقِ؛ وتركيا لقمة في لهوات ضَيْغم، وهي تستدفع تيارًا بتيار، وتستجير من الرَّمْضاء بالنار، وفارسُ طريدةُ لَيْثَين يتخاطران، وباكستان لم تُزمِع التشمير، حتَّى رُهِصَت بكشمير؛ والأفغان تحاول الكمال، فيصدُّها الخوف من الشَّمال، وجاوة لم تزل تحبو، تنهض وتكبو، وتومض وتخبو.

هذه ممالك العروبة والإسلام، كثرت أسماؤها، وقل غَناؤها. وهذه أحوال العرب والمسلمين، الَّذين يُقبل عليهم العيد، فيقبل بعضهم على بعض، يتقارضون التهاني، ويتعلَّلون بالأماني؛ أفلا أعذر إذا لقيتُ الأعياد بوجه عابس، ولسان بَكِي، وقلم جاف، وقلب حزين؟!»[٢].

حركة الإسلام في أوربا:

ولا يكتفي الشيخ بحمل هموم الإسلام وأمته في العالم الإسلامي فقط، بل تمتد هممه إلى الأقليات الإسلاميَّة الَّتي تعيش في الغرب وفي غيره، فتراه يكتب عن حركة الإسلام في أوربا قائلًا: «الإسلام رُوح تجري؛ ونفخةٌ تسري، وحقيقة ليس بين قبولها إلَّا مواجهتها لها، وليس بين النفوس وبين الإذعان لها إلَّا إشراقها عليها من مجالَيْها الأولى.

(١) يعني بالزيت: النفط والبترول.

(٢) جريدة البصائر، العدد (١٦٣)، ١٦ تموز (يوليو) ١٩٥١م.

QaradawiBooks.com

لذلك نــراه في جميع مراحــل التاريخ يقطــع الفيافي بلا دليل، ويقطع البحار بلا هادٍ، ويغزو مجاهل إفريقيا في الوســط والجنوب، ومنتبذات آســيا في الوســط والشــرق، ثمَّ يدخل شــرق أوربا مع الفتوحــات العثمانية. كما دخــل غربها في الجنوب مــع الفتوحات الأموية، وكما دخــل جنوبها مع الفتوحــات القيروانية. وهو في كل ذلك يقتحم الأذهان من غير استئذان.

وليســت تلك الفتوحات الحربية هي الَّتي غرسته أو مكَّنت له؛ لأنَّ الفتح في الإســلام لم يكن في يوم ما إكراهًا على الدين. وإنَّما مكنت للإســلام: طبيعته ويســره ولطف مدخله على النُّفوس وملاءمته للفطر والأذواق والعقول.

ولو بقي الإســلام على روحانيته القوية، ونورانيته المُشرقة، ولو لم يفســده أهله بما أدخلوه عليه من بدع، وشــانُوه به مــن ضلال، لطبق الخافقيــن، ولجمع أبناءه على القــوَّة والعزة والســيادة حتَّى يملكوا به الكون كله، ولكنَّهم أفســدوه واختلفــوا فيه، وفرَّقوه شــيعًا ومذاهب، فضعف تأثيرهم به، فضعف تأثيره فيهم، فصاروا إلى ما نسمع.

لا يعود المســلم إلى العزَّة والســيادة حتَّى يغير ما به، فيرجع إلى حقائق القرآن يســتلهم الرشــد، ويستمدُّ منها تشــديد العزيمة، وتسديد الرأي، وإصابة الصواب، ومتانة الأخلاق، فيأخذ دينه بقوة، تهديه إلى أنْ يأخذ دنياه بقوة، ويقوده كل ذلك إلى أخذ السعادة بأسبابها.

ولو كان المسلم مســلمًا حقًّا لعرف نفســه، ولو عرف نفسه لعرف أخاه، ولو عرف أخاه لكان قويًّا به في المادة. ويوم نصل إلى هذه الدرجة نكون قد أعدنا تاريخ الإســلام مــن جديد. ونكون قــد أضفنا إلى هذا

QaradawiBooks.com

العصر المادي العصري الفوار: عنصـرًا رُوحانيًّا فوارًا يُلطِّف من حدته، ويخفِّف من شدته، فيتكوَّن منهما مزاج صالح، يصلح عليه الكون كله، لا المسلمون وحدهم.

إنك لترى للمسـلمين وجودًا في كل قطر، وتسمع عنهم نبأ في كل ناحيـة، ولكنَّهم متفرِّقـون في زمن أصبـح فيه التكتل شـرطًا للحياة، ومتباعدون في وقت أصبح فيه التقارب أساسًـا للقـوة، ومتناكرون في عصر أصبح فيه التعارف أقوى وسائل التعاون. ومنصرفون عن الجامعة الإسلاميَّة الواسعة إلى جوامع أخرى ضعيفة الآفاق، من جنسية وإقليمية، في هذا الزمن الَّذي يتداعى فيه أتباع الأديـان القديمة، ومعتنقو النحل الحديثة، إلى التجمُّع حول المبادئ الرُّوحيَّة أو الفِكريَّة.

وهناك في الأقاصي من شمالي أوربا طوائف من إخواننا المسلمين المنحدرين من السلائل التركيَّة والصقلبيَّة الَّتي امتزجت في شبه جزيرة البلقان، ثمَّ مدَّت مدَّها إلى النمسا وهنغاريا، ثمَّ نزحت منها مجاميع إلى الشمال، فكان من بقاياها هذه المجموعة المتوطِّنة في «فنلندا».

ولا نشـكُّ أنَّ إخواننا هؤلاء قد اصطبغوا بصبغـة ذلك الوطن في حياتهم الدُّنيويَّة وطرق معايشـهم، ولا نشـك أنَّهم أخذوا فيها بنظام العصر وقُوَّته وجِدِّه، ولكنَّهم في حياتهم الدينيَّة مستضعفون، محتاجون إلى إمداد من إخوانهم المسـلمين في جميع الأقطـار، تُقَوِّي ضعفهم المادِّي، وتُكمل نقصهم العلمي، وتُشـعرهم بالعِـزَّة والكرامة، وتَرفع رؤوسهم بين مواطنيهم.

ويظهر للقارئ من كلمة الأسـتاذ محمَّد فهمي عوض المنشورة في الماضي، ومن الصور الَّتي ننشـرها اليوم، ومن الرسـالة المفصَّلة الَّتي

QaradawiBooks.com

كتبها إلينا الشيخ حبيب الرحمن شـــاكر إمام المسلمين في فنلندا، يظهر من ذلك كلِّه ما هم في حاجة إليه، فليس لهم مســـجدٌ جامع يؤدُّون فيه الشعائر الدينيَّة، وإنَّما يُصَلُّون الجمعة في قاعة سينما يكترونها لساعاتٍ، وليس عندهم من الكتب الدينيَّـــة العربيَّة شـــيءٌ إلَّا المصاحف، وإنَّما يتمتعون بشيئين مهما تكن قيمتهما غالية فإنَّهما لا يُغنيان عن المفقود، وهما: العقيدة المتينة، والحُرِّيَّة التامَّة.

وجمعيَّة العلماء تبتهج بهذه الصلة الجديدة بإخواننا مسلمي فنلندا، وتصل بهذه الكلمة وشـــائج القُرْبى الدينيَّة، وتحرِّك بها ســـواكن هِمَم المســـلمين في الشـــرق والغرب، ليلتفتوا إلى هذه الناحية من جسمهم، فيُداووا علَّتها، ويسدُّوا خَلَّتها، ويربحون بها ما يزيد في عددهم؛ وإنَّ هذا لأقلُّ ما يُوجبه الإسلام على المسلم»[1] انتهى.

* * *

(١) جريدة البصائر، العدد (١٤٧)، السنة الرابعة، السلسلة الثانية، ١٩ مارس ١٩٥١م.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

خـــاتمـــة

دعاء وابتهال:

ونختم بحثنا هذا عن العلَّامة الإبراهيمي بدعاء جامع، اقتبسناه من كلام الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ذكره في مقدَّمة التقرير الأدبي. وهي خطبة أدبيَّة رائعة من الأدب الدِّينيِّ صادرة عن قلبٍ مؤمن، عبَّر عنها قلمٌ بليغ[1]:

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨].

﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ۞ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران: ١٩٣، ١٩٤].

اللهمَّ، هبْ لنا توفيقًا يُنير الطريق، وهدايةً تقي العَثَرات، وعناية تأخذ باليد إلى الحَقِّ، ويقينًا يزيل اللبس في مواطن الشـــبهات، وتأييدًا يُثبِّت الأقدام في مواضع الزلل، وثباتًا يعصم من الفرار في ميادين الصراع بين

(١) جريدة البصائر، العدد (١٧٢، ١٧٣)، السنة الرابعة، السلسلة الثانية، ١٥ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٥١م.

QaradawiBooks.com

الخير والشـــرِّ، وصبرًا يَزَعُ عن النُّكوص على الأعقاب، وشـــجاعة تفُلُّ الحديد، وتنسخ آية هذا العصر الجديد، وبيانًا يُفحم الخَصم في مواقف الجدل، وعفَّـــة تقهر الغرائز الجامحة، والشـــهوات العارمـــة، والمطامع المُتَعَرِّضة بكلِّ ســـبيل، وأفِـــضْ علينا لطفًا يصحب خفايـــا الأقدار عند حلول المصائب، وأصحبنا ولاية منك تُخرجنـــا من الظلمات إلى النُّور ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

اللهمَّ، جنِّبْنا زلَّـــة الرأي، وزلزلـــة العقيدة، ودَغَـــل الضمير، ورَيْن البصيرة، وخَيْبـــة الرجاء، وطَيْش السِّـــهام، وجنِّبْنا الخـــوف من غيرك، والجحود لخيرك، والبخل عليك برزقك، والرهبة من عدوِّك، والضلال في معرفتك، والهجر لكتابك، والشكَّ في وعدك، والاستخفاف بوعيدك، والدَّخَل في الانتســـاب إليك، واجنُبْنا وقومَنا أن نعبد هذه الأصنام الَّتي أضلَّت كثيرًا من الناس.

اللهـــمَّ، ارزقْ أُمَّة محمَّد التفاتًـــا صادقًا إليك، والتفاتًـــا مُحكمًا حول كتابك، واتِّباعًا كاملًا لنبيِّك، وعرفانًا شاملًا بأنفسهم، فقد جهلوها، وتعارفًا نافعًا بين أجزائهم، فإنَّهم أنكروها، وبصيرةً نافـــذة في حقائق الحياة، فقد اشتبهت عليهم سبلها الواضحة، وهب لهم من لدنك نفحةً تصحِّح الأخوة الســـقيمة، وتصل الرحم المجفُـــوَّة، وتمكِّن للثقة بينهـــم. واتِّحادًا يجمع الشـــمل الممزَّق، ويعيد المجد الضائع، ويرهب عدوَّك وعدوَّهم، ورجوعًا إلى هديك يُقَرِّبهم من رضاك، ويسبِّب لهم رحمتك، ويُزحزحهم عن عذاب الخزي، فإنَّه لا يذلُّ من واليت، ولا يعزُّ من عاديت.

QaradawiBooks.com

اللهـــمَّ، واحفظْ هـــذه العصابـــة الذائدة عـــن حمـــاك، والمعظِّمة لحُرُماتـــك، الواقفة بالمرصـــاد لكلِّ معتـــدٍ عليها، الناصـــرة لدِينِكَ، والمدافعة ـ ولا مِنَّـــة ـ عن بيوتك، القائدة لرعيل الحقِّ في ســـبيلك، فإنَّها كثيرةٌ بك، معتزَّة بعِزَّتك، قويَّة بتوفيقك، وإنَّها إن هلكت لم تُعْبد في هذه الأرض».

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الفهارس العامة

- فهـــرس الآيات القرآنيـــة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـــريفة.
- فهرس الموضوعات.

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة البقرة		
﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾	٢٧	١٤
﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾	٢٥٠	٩٠
﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾	٢٦٥	٩
سورة آل عمران		
﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾	٨	٨٩
﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	١٠١	٩
﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ﴾	١٩٣	٨٩
﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾	١٩٤	٨٩
سورة المائدة		
﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ﴾	٤٩	١٧
سورة الأنعام		
﴿قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾	٦٦	١٧

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأعراف		
﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾	٥٨	٦٩
﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾	١٧٩	١٥
سورة التوبة		
﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾	١٨	٢٢
سورة يوسف		
﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾	١٠٨	٤
سورة النحل		
﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾	٥٩	١٩
﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ﴾	١٢٥	٤
سورة الأنبياء		
﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾	١٨	٢٧
سورة الشعراء		
﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۞ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۞ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾	١٩٣ ـ ١٩٥	٢٠
سورة القصص		
﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾	٣٥	٦٧
سورة الأحزاب		
﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ﴾	٣٩	٤

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة ص		
﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمۡ﴾	٢٤	٣٣
سورة الشورى		
﴿أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾	١٣	١٨
سورة ق		
﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖ﴾	٤٥	١٧
سورة الحشر		
﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا﴾	١٠	٨

❊ ❊ ❊

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

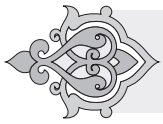

الحديث	رقم الصفحة
أ	
ابدأْ بنفسك	٣٥
امرأة دخلت النار بسبب هرَّة أمسكتها؛ فلم تطعمها ولم تدعها	١٩
إنَّ الله لا يقبضُ العِلْمَ انتزاعًا ينتزعُه من العباد	٥
إنَّما العُرُوبة اللسان، فمن تكلَّم بالعربيَّة، فهو عربيٌّ	٢٠
ب	
بغي من بغايا بني إسرائيل دخلت الجنَّة بسبب كلبٍ وجدته يلهث عطشًا	١٩
ض	
ضرب الله مثلًا صراطًا مستقيمًا... إلى أن يقول: والدواعي فوق الصراط	١٤
ك	
كتاب الله... لا تنقضي عجائبه	٢٢
م	
مَثلُ ما بعثني الله به من الهُدَى والعلم، كمثل الغَيْث الكثير أصاب أرضًا	٥

* * *

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

فهرس الموضوعات

❖ من الدستور الإلٰهي للبشرية ٤

❖ من مشكاة النبوة الخاتمة ٥

• استهـلال ٧

❖ مُقَوِّمات الفكر الإصلاحي عند الإمام محمَّد البَشِير الإبراهيمي ١٠

❖ ١ ـ الإسلام والعروبة: أساسًا ومنطلقًا ١٢

الإسلام الَّذي يدعو إليه الإبراهيمي ١٣

الإسلام دِينُ التحرير العامِّ ١٥

ربط الإسلام بالعروبة ٢٠

حماية الإسلام من المتأكِّلين باسمه ٢٢

دافعتْ عنه في ثلاثة ميادين في وقت واحد ٢٣

عمل جمعيَّة العلماء لخدمة الإسلام ٢٣

❖ ٢ ـ الوَحدة والحُرِّيَّة (التحرير والتوحيد) محورًا وهدفًا ٢٧

التحرير الَّذي يَنْشُده الإبراهيمي ٢٨

إشاعة كلمة «الحُرِّيَّة» في محيط الشعب ٢٨

QaradawiBooks.com

التوحيد هو الهدف الثاني ٣٤
البداية بتوحيد الشعب الجزائري ٣٥
ضرورة الاتِّحاد وضرر الخلاف ٣٦
توحيد الشمال الإفريقي ٣٨
توحيد العرب ٤٠
توحيد أمة الإسلام ٤١
داؤنا الانقسام ودواؤنا الوحدة ٤٢
بدء تفرُّق المسلمين في الدين ٤٥
ظهور المذاهب الفقهيَّة والتعصُّب لها ٤٦
المذاهب الكلاميَّة وخطرها ٤٨
تخلُّف دراسة علم التوحيد ٤٩

❖ ٣ ـ التوعية والتربية: طريقًا ومنهاجًا ٥١

التوعية ٥١
أشنع أعمال فرنسا في الجزائر ٥٢
توعية الشعب وتنويره ٥٣
غاية جمعيَّة العلماء تحرير الشعب الجزائري ٥٤
أعمال جمعيَّة العلماء في التعليم العربي والتوعية ٥٤
الميدان الداخلي أولى بالاهتمام ٥٦
التربية ٥٩

❖ ٤ ـ العمل الجماعي: ضرورة وشرطًا ٦٧

من آثار العمل الجماعي ٦٨

QaradawiBooks.com

❖ **٥ ـ الأمَّة العربيَّة الإسلاميَّة: ساحة وميدانًا** **٧٢**

قضية فِلَسْطين في المقدمة ٧٢

مشاركة تونس في محنتها ٧٧

ولليبيا حقٌّ مؤكَّد ٧٨

جزيرة العرب في وجدان الإبراهيمي ٨٠

ولمصر مكانة خاصة ٨١

قومي هم العرب والمسلمون ٨٢

حركة الإسلام في أوربا ٨٤

• **خـــاتمـــة** **٨٩**

دعاء وابتهال ٨٩

• **فهرس الآيات القرآنية الكريمة** **٩٥**

• **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة** **٩٩**

• **فهرس الموضوعات** **١٠٠**

* * *

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com